وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية

مُحَاضَرات في العقيدة الإسلامية
(النبوات)

جمع وترتيب
الاستاذ المساعد الدكتور
محمد محسن راضي
التدريسي في قسم العقيدة والدعوة والفكر

تعريف النَّبِيّ والرَّسُول لُغَةً واصطلاحاً

مقدمة:

– بعد أن درسنا في مباحث الإلهيات إثبات وجود خالق لهذا العالم، وبيَّنا الدليل العقلي القطعي على ذلك، كان لابُدَّ من معرفة الطريق إليه.

– وهذا الطريق لو تُرك إلى الإنسان لأفضى إلى الاختلاف والتناحر؛ وذلك لاختلاف أمزجة الناس وأهوائهم ومستوياتهم العقلية، فما حسُن عند البعض قد يكون قبيحاً عند غيرهم.

– ولمَّا كان الأنسان عاجزاً عن إدراك حقيقة هذا الخالق سبحانه، كان عاجزاً عن إدراك ما أمر به، وما نهى عنه، فكان لابُدَّ له ممن يُعرِّفه بالخالق وكيفية عبادته ونيل رضوانه، والمراد بالعبادة هنا ما هو أعم من الصلاة ونحوها، فالمراد بها التعبد مطلقاً، أي: السير في هذه الحياة بما يرضيه سبحانه تعالى، بحسب أوامره ونواهيه.

– لقد بعث الله تعالى الأنبياء عليهم السلام ليكونوا الواسطة بينه وبين خلقه، يبلغوهم أوامره سبحانه ونواهيه، ويبشروهم بالجنة وينذروهم من النار.

– لذا سيكون موضوع محاضراتنا في هذا الفصل حول النبوات، وسنبدأ بتعريف النَّبِي والرَّسُول لُغَةً واصطلاحاً.

أولاً: النَّبِي والرَّسُول لُغَةً:

أ– النَّبِي في اللُّغة:

جاءت لفظة (النَّبِي) في اللُّغة: مهموزة: (النَّبِيء)، وغير مهموزة: (النَّبِي).

١ – فإذا كانت اللفظة بالهمز: (النَّبِيء)، ففي اشتقاقها وجهان:

<u>الوجه الأول:</u> أنَّها مشتقة من النَّبأ، وهو الخبر، فـ(النَّبِيء) بزنة: (فعيل) يأتي بمعنى اسم الفاعل، أي: المُنْبِئ (المُخْبِر) عن الله تعالى، أو (فعيل) بمعنى اسم المفعول، أي، هو: المُنْبَأ (المُخْبَر)؛ لأنَّ المَلَك، يُنْبِئُه عن الله بالوحي.

<u>أمَّا الوجه الثاني</u> لكون اللفظة بالهمز: (النَّبِيء)، فهو: أنَّها تكون من (النَّبِيء)، الذي هو الطريق الواضح؛ لأنَّ الأنبياء عليهم السلام هم الطُرق الواضحة المُوْصِلة إلى الله تعالى.

هذا في توجيه لفظة (النَّبِي) إذا كانت مهموزة: (النَّبِيء).

٢ – أمَّا إذا كانت اللفظة غير مهموزة: (النَّبِي)، ففي اشتقاقها وجهان أيضاً:

<u>الوجه الأول:</u> أن تكون همزتها مخففة، أي: أنَّها مهموزة لكن حُذفت همزتها للتخفيف، كما شائع في اللغة، وفي هذه الحالة، فإنها ترجع إلى ما سبق.

<u>أمَّا الوجه الثاني</u> لكون اللفظة غير مهموزة: (النَّبِي)، فهو: أنَّها مشتقة من النَّبْوَة أو النَّبَاوِة، أي: الإرتفاع، وهو أيضاً (فعيل) بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول؛ لأنَّ النَّبِي مرتفع الرتبة على غيره أو مرفوعها.

ب– الرَّسُول في اللُّغة:

في الأصل اللغوي للفظة (الرَّسُول)، وجهان أيضاً:

الأول: أنَّها مأخوذة من قولهم جاءت الإبل رَسْلاً، أي: متتابعة، فالرسول هو الذي يُتابع أخبار الذي بعثه.
الثاني: أنَّها مأخوذة من قولهم: رَسُلَ اللَّبن، إذا تتابع درُّه؛ لأنَّ الرسول هو الذي يتتابع عليه الوحي.

ثانياً: النَّبِي والرَّسُول اصطلاحاً:

جاء النص القرآني الكريم بهاتين الكلمتين معاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[الحج: ٥٢]، وقد اختلف العلماء في بيان معناهما على أقوال أبرزها ما يأتي:

أ- النَّبِي والرَّسُول اصطلاحاً عند الجمهور:

ذهب جمهور العلماء إلى أنَّ النَّبِي: إنسان أُوحي إليه بشرع (أي: أحكام)، سواء أُمر بتبليغه والدعوة إليه أم لا، فإن أُمر بذلك فهو نبي رسول، وإن لم يُؤمر فهو نبي غير رسول.

فالفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه.

فالنَّبِي أعمُّ من الرسول، أي: يلزم من كونه رسولاً أن يكون نبياً، ولا عكس.

وهذا القول هو المشهور، وبه قال الجمهور، قال القاضي عياض في كتابه الشفا: "والصحيح والذي عليه الجماء الغفير، أنَّ كلَّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً".

ب- النَّبِي والرَّسُول اصطلاحاً عند المعتزلة:

النَّبِي: إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول، فلا فرق بينهما، بل هما بمعنى واحد.

وهو مذهب جمهور المعتزلة.

ج- ردُّ الجمهور على القول الثاني:

وقد رد الجمهور على القول الثاني بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾، فلو كان النَّبِي مساوياً للرسول لما عُطف عليه؛ لأنَّ نفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر.

٢- عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: ((**قلتُ يا رسولَ الله كم الأنبياءُ؟ قال مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفاً، قلتُ يا رسولَ اللهِ كم الرسلُ منهم؟ قال: ثلاثُمائةٌ وثلاثةَ عشرَ جمَّاً غفيراً**)).

فالحديث يقتضي أنَّ الرسل هم غير الأنبياء، وقول المعتزلة يقتضي اتحادهما، فهو مخالف للحديث، فثبت أن ثَمَّة فرق بينهما.

د- الأظهر في التفريق بين النَّبِي والرَّسُول في الاصطلاح:

نحن نذهب إلى ما قال به الجمهور من الفرق بين النَّبِي والرسول، ولكن ليس على أساس الأمر بالتبليغ من عدمه، ولكن على أساس المجيء بشرع جديد كُلِّيّاً أو جزئياً، فالمبعوث بشرع جديد مثل موسى عليه السلام وسيدنا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، فهو نبي رسول، والمبعوث بشرع سابق ولكن جرى فيه النسخ، كما في شأن عيسى عليه السلام، فهو نبي رسول، وإلا فهو نبي ليس برسول.

ثالثاً: حكم إرسال الرسل:

اختلف الناس في حكم إرسال الرسل على الأقوال الآتية:

القول الأول: الاستحالة:

فذهبت السُّمَنيِّة والبَراهمة (من ديانات الهند)، إلى استحالة إرسال الرسل، فزعموا أنَّه عبث لا يليق بالحكيم؛ لأنَّ العقل يُغني عن الرسل، فإنَّ الشيء إن كان حسناً عند العقل فَعَلَه وإن لم تأتِ به الرسل، وإن كان قبيحاً عنده تركه وإن لم تأت به الرسل، وإن لم يكن عنده حسناً ولا قبيحاً فإن احتاج إليه فعله وإلا تركه.

القول الثاني: الوجوب:

فذهبت المعتزلة والفلاسفة إلى أنَّه يجب على الله تعالى إرسال الرسل، وهذا القول مبني عند المعتزلة على قاعدة وجوب الصلاح والأصلح، فقالوا: النظام المؤدي إلى صلاح النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل، وكل ما كان كذلك فهو واجب على الله تعالى.

ومبنى كلام الفلاسفة هو على قاعدة التعليل أو الطبيعة، فيقولون: يلزم من وجود الله وجود العالم بالتعليل أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه.

القول الثالث: الجواز:

فذهب جمهور المسلمين إلى أنَّ إرسال الرسل جائز، فيجوز عقلاً في حقه تعالى إرسال الرسل، فلا يجب عليه تعالى، ولا يستحيل، بل إرساله تعالى الرسل هو بإحسانه وفضله الخالص.

وردُّوا على القول بالوجوب، بأنَّه تعالى فاعل بالاختيار لا بطريق الإجبار.

رابعاً: طريق إثبات النُّبُوَّة:

لا يكون إثبات النُّبُوَّة إلا باجتماع أمرين أثنين:

الأول: ادعاء النُّبُوَّة.

الثاني: إظهار المعجزة.

فكل من ادعى النُّبُوَّة واظهر المُعْجِزَة تصديقاً لدعواه، فهو نبي من عند الله تعالى.

النبوة اصطفاء وبشرية الأنبياء عليهم السلام

أولاً: النبوة اصطفاء واختيار من الله عزَّ وجلَّ:

النبوة فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده فلا تُنال بالكسب، ولا بتكليف العباد واقتحام أشق الطاعات، ولا تُدرك بتهذيب الروح وتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الاخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تأثير المجتمع فيها.

قال تعالى: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[الحج:٧٥].

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[النحل:٢].

ثانياً: بشرية الأنبياء والرسل عليهم السلام:

الأنبياء والرسل بشر، يأكلون ويشربون، يجوعون ويعطشون، ويحزنون ويفرحون، وينامون، ويمرضون، وينسون، ويتعبون، ويستشيرون، ويتزوجون،...، ونحو ذلك من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[إبراهيم:١١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾[الأنبياء:٧، ٨].

وإنَّما اختارهم الله عزَّ وجلَّ من جنس المرسل اليهم، ليكونوا على صلة وثيقة بهم، شاعرين بأحاسيسهم، مطلعين على ما يعانونه من آلام، مقيمين عليهم الحُجَّة الدامغة، بإيضاح الطريق المستقيم لهم، وقد الكتاب والسنة على بشرية الأنبياء والرسل عليهم السلام:

أ- من القران الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

٢- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[الكهف:١١٠].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد:٣٨].

ب- من السنة النبوية:

١- حدث أبي مسعود رضي الله عنه قال: ((أتى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ فَكلَّمَهُ فجعلَ ترعدُ فرائصُهُ فقالَ هوِّن عليْكَ فإنِّي لستُ بملِكٍ إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ تأْكلُ القُديدَ)).

٢- وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ((إنَّما أنا بَشَرٌ أنْسى كما تَنْسَوْنَ، فَإذا نَسِيتُ فَذَكِّرُوني)).

٣- تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وسيرته تشهد ببشريته، ولا مجال لأحد في إنكار ذلك.

٤- عبوديته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ لله تعالى الظاهرة في كلامه وأدعيته كما في قوله: ((**اللَّهمَّ إنِّي عبدُكَ ابنُ عبدِكَ ابنُ أمَتِكَ، ناصِيَتي بيَدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدلٌ فيَّ قضاؤُكَ**))، وغير ذلك الكثير، ممَّا يشهد ببشرية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وينفي عنه أي صفة من صفات الألوهية.

ثالثاً: فوائد وقوع الأعراض البشرية بالأنبياء عليهم السلام:

تقدم أنَّ الانبياء بشر، يقع عليهم من الاعراض البشرية كالابتلاء والمرض والنسيان والفقر، ...، الخ، ممَّا يقع على سائر الناس، إلا أنَّ لوقوع هذه الاعراض بالأنبياء فوائد تتلخص بما يأتي:

١- **تعظيم أجورهم**، فالبلاء والأمراض يترتب عليها الأجر العظيم، لهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ**)).

وقال الإمام القشيري: "ليس كل أحد أهلٌ للبلاء، إذ البلاء للأولياء، وأمَّا الأجانب فيُتجاوز عنهم، ويخلى سبيلهم".

والله تعالى وإن كان قادراً على أن يُعظم أجورهم من غير ابتلاء ومشقة، إلا أنَّ حكمته تعالى اقتضت ترتيب ذلك على الابتلاء: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[الأنبياء:٢٣]، وليكونوا أُسوة لغيرهم من البشر.

٢- **التشريع**، فسَهْوُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاة تشريع للناس، وتعليم لهم كيفية سجود السهو؛ لأنَّ دلالة الفعل قد تكون أقوى من دلالة القول.

٣- **التَّسَلي بأحوال الأنبياء عليهم السلام**، وذلك إذا نزل بنا ما نزل بهم، فإذا نظر العاقل في أحوال الأنبياء عليهم السلام، من مرض وأسقام، وقلة مال، وأذى الناس لهم، مع علُوِ مقامهم، ورفعة شأنهم، فإنَّه يتسلى ويتَصَّبر، فلم يحزن على ما نزل به من بلاء، وما فاته من حطام الدنيا الفانية.

٤- **تنبيه غير الأنبياء على خسة قدر الدنيا عند الله تعالى**، وذلك حين يرون الأنبياء عليهم السلام قد أعرضوا عنها، وانصرفوا عن ملاذِّها ومغانمها.

ولكن ذَمَّ الدنيا الوارد في بعض النصوص، إنَّما هو في الدنيا الشاغلة عن الله تعالى وطاعته، أمَّا الدنيا التي لا تشغل فلا ذَمَّ فيها، بل هي محمودة، وبذلك يُعلم: أنَّ الدنيا ليست محمودة، ولا مذمومة لذاتها.

٥- **التأكيد على بشرية الأنبياء عليهم السلام**، وأنَّ منزلتهم الرفيعة لا تقتضي أن ينتفي عنهم ما يُصيب البشر ممَّا لا ينافي كونهم أنبياء.

رابعاً: تكذيب الأنبياء أو تنقيصهم كفر:

الأنبياء عليهم السلام يشتركون جميعاً في قدر واحد وهو: النبوة؛ لذا اتفق علماء الإسلام جميعاً على كفر من كذب نبياً معلوم النبوة، وكذا من سبَّ نبياً، أو انتقصه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**﴾[النساء:١٥٠، ١٥١].

صفات الأنبياء والرُّسل– العصمة: القسم الأول

مقدمة:

جَبَلَ الله تعالى بعض الناس على مواهب معينة كالقوة والشعر والفنون، ... يتفوق بها على الآخرين، وَوَهَب الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم؛ لذلك امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخير، التي تقتضيها طبيعة وظيفتهم بالتبليغ عن الله تعالى، بعيدة عن جميع النقائص، التي لا تليق بهم، ممَّا لا يستقيم مع تلك الوظيفة.

ومن أبرز ما يذكره العلماء في هذا المقام خمس صفات، هي: **العصمة، والتبليغ، والفطانة، والذكورة، والسلامة من النقائص**، ولا يعني أنَّ هذه هي صفاتهم فقط، بل هذه أمهاتها، وسنقتصر في دراستنا على صفة **العصمة**، لأنَّها أساس هذه الصفات.

۞ العِصْمَة لُغَةً واصطلاحاً:

أ– العِصْمَة لُغَةً:

العِصْمَة في اللُّغَةً، تعني: الحفظ.

ب– العِصْمَة اصطلاحاً:[1]

عرَّف العلماء العِصْمَة في الاصطلاح بتعريفات عدة، منها: هي أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنباً.

وعُرِّفتْ العِصْمَة في الاصطلاح أيضاً، بأنَّها: لطف من الله تعالى، يحمله[2] على فعل الخير، ويَزْجُرُه عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار، تحقيقاً للابتلاء.

ج– معنى الكبيرة والصغيرة:

لمَّا كانت عصمة الأنبياء مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالذنب، من حيث خلو الأنبياء منه، كان لابُدَّ من بيان واقع الذنب، فهو: إمَّا أن يكون من الكبائر أو من الصغائر.

١– **الكبائر:** عرَّف العماء الكبائر بتعريفات مختلفة، من أبرزها: إنَّ الكبائر، هي: ما ترتب عليها حدٌّ، أو تَوعَّد عليه بالنار، أو اللعنة، أو الغضب.

والكبائر إمَّا كفرٌ، أو كذب، أو غيرهما من الذنوب الكبيرة الأخرى.

٢– **أمَّا الصغائر، فهي:** ما ليس فيها حدٌّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة.

وسيكون الحديث عن العصمة في نوعين: الأول: عصمة الأنبياء من الكبائر، والثاني: عصمة الأنبياء من الصغائر.

---

[1] التعريفان كلاهما مطلوب.

[2] أي: يحمل النبي على فعل الخير، ... الخ

النوع الأول: عصمة الأنبياء من الكبائر:

وفيما يأتي تفصيل عصمة الأنبياء من هذه الأنواع من الكبائر: الكفر، والكذب، وغيرهما.

أولاً: العصمة من الكفر:

اتفق جمهور المسلمين على أنَّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده، ولا يجوز الكفر عليهم في حال صغرهم تبعاً للوالِدَيْنِ؛ لأنَّهم مؤمنون بالله، عارفون به حقيقة، فلا يجري عليهم حكم الكفر تبعاً لكفر الوالِدَيْنِ.

ثانياً: العصمة من الكذب:

قبل بيان عصمة الأنبياء من الكذب، لابُدَّ من بيان معنى الصدق والكذب.

أ- معنى الصدق والكذب:

الصدق، هو: مطابقة حكم الخبر للواقع، وأنواعه بالنسبة للأنبياء ثلاثة:

١- الصدق في دعوى الرسالة.

٢- الصدق في ما يبلغونه عن الله عزَّ وجلَّ إلى الناس من الأحكام الشرعية.

٣- الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلق بأمور الدنيا.

وضد الصدق: **الكذب، وهو:** عدم مطابقة حكم الخبر للواقع.

ب- عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكذب:

يستحيل صدور الكذب عن الأنبياء فيما دلَّ المعجز القاطع على صدقهم فيه، كدعوى الرسالة، وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الخلائق، على سبيل العمد بإجماع أهل الملل والشرائع كلها، ويستحيل صدوره على سبيل السهو والنسيان عند أكثر الأئمة الأعلام، وهو المُعتمد على ما أفاده المحققون، وكذلك هم معصومون من الكذب فيما يتعلق بغير الإرسال والتبليغ.

ج- الدليل العقلي على صدق الأنبياء وعصمتهم من الكذب:

١- لو جاز عليهم الكذب والافتراء، للزم الكذب في خبره تعالى، وهو محال؛ لأنَّه تعالى صدَّقهم بالمعجزات.

٢- الكذب معصية، وهم معصومون منها.

٣- لو كذبوا، وعرف الناس منهم ذلك، لانتفت فائدة الرسالة.

د- أمَّا الدليل النقلي على صدقهم:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم: ٣-٤].

٢- قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[يس:٥٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[الحاقة:٤٤-٤٧].

٤- وفي الحديث، قالوا: ((يا رَسولَ اللهِ، إنَّكَ تُداعِبُنا؟ قال: لا أقولُ إلّا حَقًّا)).

هـ- ما ظاهره وقوع الكذب من الأنبياء:

أمَّا ما ظاهره وقوع الكذب من الأنبياء، كما في واقعة إبراهيم الخليل عليه السلام حين كسر الأصنام، وأبقي كبيرها فقط، فلمَّا سئل: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[الأنبياء:٦٢-٦٣]، فإنَّه يُؤول بأنَّ قصده عليه السلام التهديد والتبكيت والاستهزاء، لأنَّه لم يكن عند الأصنام غيره، فما فائدة قولهم من فعل هذا؟!

وقيل معناه: سلوهم إن نطقوا فإنَّهم يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل، وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنَّه هو الفاعل، فقوله هذا من المعاريض، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، وهو الذي صححه القرطبي، وقيل غيره.

ثالثاً: العصمة من الكبائر الأخرى:[٣]

ونبين هنا حكم صدور غير الكفر والكذب من الكبائر عنهم عمداً أو سهواً، قبل البعثة أو بعدها.

أ- الكبائر المنفرة:

الأنبياء عليهم السلام، **معصومون من الكبائر المنفرة**، كعهر الأمهات والفجور في الآباء، مطلقاً قبل البعثة وبعدها، عمداً وسهواً.

ب- الكبائر الأخرى (غير المنفرة):

أمَّا الكبائر الأخرى (غير المنفرة)، ففيها التفصيل الآتي:

١- وقوع الكبائر الأخرى (غير المنفرة) قبل البعثة:

فذهب أكثر الأشاعرة، وجمع من المعتزلة، والإباضية، إلى أنَّه لا يمتنع صدورها عنهم قبل البعثة، مستدلين بأنَّه لا دلالة للمعجزة على امتناع الكبيرة قبل البعثة، وهذا لا يعني أنَّها وقعت من كل نبي منهم فعلاً، بل المراد أنَّ وقوعها منهم قبل البعثة لا يتعارض مع دلالة المعجزة على صدقهم.

بينما ذهب أكثر المعتزلة إلى أنَّه: يمتنع صدور الكبيرة منهم وإن كانت قبل البعثة؛ لأنَّ الكبيرة تُوجب النفرة عمن ارتكبها، وهي تمنع عن اتباعه، فتفوت مصلحة البعثة.

---

[٣] يُحفظ ما في الخلاصة فقط.

٢- وقوع الكبائر الأخرى (غير المنفرة) بعد البعثة:

الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر عمداً، وهو قول الجمهور من المحققين والأئمة، وكذلك هم معصومون منها سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل، وهذا الرأي هو المختار.

بينما ذهب الزيدية والأمامية إلى المنع من وقوع الكبائر منهم مطلقاً، قبل البعثة وبعدها، عمداً وسهواً.

النوع الثاني: عصمة الأنبياء من الصغائر:[٤]

قسَّم العلماء الصغائر إلى نوعين: صغائر خِسَّة، وصغائر أخرى.

أولاً: صغائر الخِسَّة:

وهي الصغائر التي تلحق فاعلها بالأراذل، كسرقة حبَّة، أو لقمة، والتطفيف بتمرة.

والأنبياء معصومون منها، قبل البعثة وبعدها، فلا تصدر عنهم أصلاً، لا عمداً ولا سهواً بالاتفاق.

ثانياً: الصغائر الأخرى:

أي التي لا تُصنَّف على أنَّها من الأمور الخسيسة، ففيها التفصيل الآتي:

١- وقوع الصغائر الأخرى من الأنبياء قبل البعثة:

والأنبياء عليهم السلام غير معصومين منها، قبل البعثة عمداً، وسهواً.

٢- وقوع الصغائر الأخرى من الأنبياء بعد البعثة:

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمداً، ولكن تجوز سهواً، لكن لا يُصِرُّون عليها، ولا يُقَرُّون من الله تعالى عليها، بل يُنَبَّهُون فَيَتَنَبَّهون، وعليه المحققون من المحدثين والسلف الصالح، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أنْسى كما تَنْسَوْنَ، فَإذا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**))، وهذا قول الأشاعرة.

وذهب المعتزلة والزيدية إلى تجويز الصغائر على الأنبياء، إما على سبيل السهو على قول بعضهم، أو على سبيل التأويل على قول قوم منهم، أو لأنَّها تقع محبطة بكثرة ثوابهم.

فعصمة الأنبياء عند المعتزلة والزيدية هي عن الكبائر عمداً أو سهواً، والصغيرة عندهم لا تُخِلُّ بالعصمة.

بينما ذهب إلى الأمامية إلى وجوب عصمتهم عن الذنوب كلها صغيرة أو كبيرة عمداً وسهواً، قبل البعثة وبعدها.

---

[٤] يُحفظ ما في الخلاصة فقط.

صفات الأنبياء والرُّسل– العصمة: القسم الثاني

أدلة عصمة الأنبياء عليهم السلام إجمالاً

استدل العلماء على عصمة الأنبياء بأدلة كثيرة، منها:

١– لو صدر منهم الذنب، لحَرُمَ أتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أنَّ أتباعهم فرض، وللإجماع،[٥] ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران:٣١].

٢– لو أذنبوا لَرُدَّتْ شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات:٦]؛ لأنَّ من لا تقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تسمع شهادته في الدين القيم؟! أي: القائم إلى يوم القيامة.

٣– إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شكَّ أن زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابَاً مُهِينَاً﴾[الأحزاب:٥٧].

٤– لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطَّعن، لدخولهم تحت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً﴾[الجن:٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤]، لكن ذلك مُنتَفٍ بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفرات.

٥– قوله تعالى في إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠]، والجمع المحلى بالألف واللام للعموم، فيتناول جميع الخيرات من الأفعال والتروك، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[ص:٤٧]، أي: من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم.

٦– لو جاز عنهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه، لَلَزم أن يكون ذلك المُحرَّم أو المكروه طاعة؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل، إلا فيما ثبت اختصاصهم به، فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به، فهو طاعة؛ لأنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء.

---

[٥] أي: وللإجماع الامة على وجوب اتباع الأنبياء.

الجواب عمَّا نقل عن الأنبياء عليهم السلام مما يُفهم منه وقوعهم في المعصية

بعد أن ثبتت عصمة الأنبياء عليهم السلام بالدليل القطعي العقلي والنقلي، يَعْرِض لنا هنا أمر، إلا وهو: كيف نُوجِّه ما نُقل عن الأنبياء عليهم السلام ممَّا قد يُفهم منه وقوع المعصية منهم؟

هنالك جوابان: الأول: إجمالي، والثاني: تفصيلي.

أولاً: الجواب الإجمالي عمَّا يُفهم منه وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام:

إنَّ المنقول عن الأنبياء عليهم السلام ممَّا يُتوهم منه وقوع المعصية منهم، لا يخلوا أن يكون متواتراً أو احاداً.

فإذا كان خبر آحاد، فلا يخلوا إمَّا أن يكون صحيحاً، أو ضعيفاً، فإن كان صحيحاً، وجب النظر فيه لتأويله وحمله على ما لا يتعارض مع الأصل القطعي، الذي هو: عصمة الأنبياء عليهم السلام، فإن تعذر ذلك ردَّ لمعارضته القطعي، لأنَّ نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.

وأما إن كان الخبر ضعيفاً، فإنَّه يُرَدّ ولا يُتكلف تأويله.

وأمَّا إذا كان الخبر الذي يُفهم منه وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام متواتراً سواء أ كان قرآناً أو سنة نبوية، فإن أمكن حمله على معنى آخر لا يتعارض مع العصمة، حُمِل عليه، وصُرف عن ظاهره المُعارض للعصمة.

أمَّا إذا لم يُوجد له محملاً، فيمكن تفسيره على: أنَّه كان قبل البعثة، أو أنَّه من قبيل ترك الأولى، أو أنَّه من قبيل صغائر صدرت عنهم سهواً.

ثانياً: الجواب التفصيلي عمَّا يُفهم منه وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام:

وهذا يكون بتتبع النصوص التي تُوهم وقوع المعصية من الأنبياء، وحملها وتفسيرها بما لا يتعارض مع عصمة الأنبياء عليهم السلام، وفيما يأتي نصوص يُفهم منها وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام، والجواب عليها:

أ- ما ورد في قصة أدم عليه السلام في القران الكريم:

قال تعالى: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[طه:١٢١]، والعصيان من الكبائر، بدلالة قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً**﴾[الجن:٢٣]، والغواية تؤكد ذلك؛ لأنَّها اتباع الشيطان، لقوله تعالى: {إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾[البقرة:٣٦]، واستحقاق الإخراج من الجنَّة بسبب إزلال الشيطان لهما، يدلّ على أنَّ الصادر منهما كبيرة، وخالف آدم عليه السلام النَّهي عن الأكل من الشجرة، وارتكاب المنهي عنه ذنب.

<u>وأُجيب على ذلك:</u>

بأنَّه كان قبل النبوة؛ لأنَّه لم تكن له في الجنة أُمّة، وإنَّما صار نبياً بعد خروجه من الجنة، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[طه:١٢٢]، إذ الإجتباء كان متأخراً عن الواقعة.

وكان ذلك عن نسيان، لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[طه:١١٥]، أو كان زلة وسهواً، حيث ظنَّ آدم عليه السلام أنَّ المنهي عنها شجرة بعينها، وقد قَرُبَ فرداً آخر من جنسها.

ب- ما ورد في قصة موسى عليه السلام:

وذلك من قتله المصري في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[القصص:١٥]، وقتله كان عدواناً، لقوله سبحانه: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[القصص:١٥]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[القصص:١٦]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[الشعراء:٢٠].

<u>وأُجيب على ذلك:</u>

بأنَّ قتل موسى عليه السلام للمصري كان قبل النبوة، وجاز أن يكون قتله خطأً، وما صدر منه من أقوال، فهو محمول على التواضع وهضم النفس.

ج- ما ورد في حق نبينا محمد ﷺ من نصوص:

وذلك في نصوص عدة، ومنها:

١- النصوص الوارد بأمره ﷺ بالاستغفار:

مثل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[غافر:٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾[التوبة:١١٧]، فأسند الذنب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وتاب عليه، ولا وجود للتوبة إلا مع الذنب.

<u>وأُجيب على ذلك:</u>

بأنَّ هذا وأمثاله محمول على ما كان من ذنب قبل النبوة، أو أنَّه محمول على ما فرط منه من الزلَّة وترك الأفضل، أو نُسب إليه ذنب قومه، فإنَّ رئيس القوم قد يُنسب إليه ما فعله بعض أتباعه، والمعنى: ليَغفر لأجلك ما تقدم من ذنب أمتك، وما تأخر عنه، واستغفر لذنب أمتك، وتاب الله على أمة النبي ﷺ.

٢- عتاب الله للنبي ﷺ في ابن أم مكتوم رضي الله عنه:

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾[عبس:١-٢].

<u>وأُجيب على ذلك:</u>

بأنَّه محمول على أنَّه عتاب على ترك الأفضل والأولى ممَّا يليق بخلقه العظيم، ومثله يُعاتب على مثله، فأخطأ في اجتهاده، فعَبَسَ في وجه الأعمى ابن أمِّ مكتوم، حين جاء يسأله عن الدين؛ لأنَّه رأى أنَّ مجادلة صناديد قريش قد تؤدي إلى أنَّهم سيميلون إليه فيُسلمون، وأنَّ الإعراض عنهم قد يزيد في حقدهم ونفرتهم عن الإسلام؛

لذلك انشغل بهم عن ابن مكتوم الأعمى المسلم، الذي جاء مستزيداً من الإسلام، فالأولى أن لا يَعْبس بوجهه، فيتولى عنه، بل يَتَلَطَّف معه، لِمَا له من منزلة الإسلام.

٣- نصوص صرَّحت بعفو الله تعالى عن النبي ﷺ:

مثل قوله تعالى: ﴿**عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ**﴾[التوبة:٤٣].

<u>وأُجيب على ذلك:</u>

بأنه تلطف في الخطاب، وعتاب على ترك الأفضل، وإرشاد إلى الاحتياط في تدبير الخيرات، فإنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أذن لجماعة تعللوا بأعذار كان الأولى أن لا تقبل منهم.

حكمة تسجيل ما وقع من الأنبياء عليهم السلام ممَّا ظاهره الزَّلة والمعصية

قد يُقال: ما بَالُ زلَّة الأنبياء حُكِيْت في القرآن، بحيث تتلى على مرِّ الزمان، مع أنَّ الله تعالى غفار ستِّير، وقد أمرنا بالستر على مرتكب الذنب؟

أجيب بأنَّ تسجيل زلَّاتهم يأتي لجملة من الحكم، منها:

١- أنَّه يدل على صدق الأنبياء، وأنَّ ما يُبَلِّغُونه يكون بأمر الله تعالى بلا إخفاء شيء منه.

٢- أنَّ الأنبياء على جلالة قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلى الله تعالى دائماً بالاستغفار والتضرع في أدنى زلَّة، فعلى الناس- وهم أدنى مرتبة منهم بكثير- أن يتضرعوا إلى الباري كل حين.

٣- أنَّ الصغائر ليست مما يقدح في الإيمان، فلا يُكفَّر الإنسان بها.

أنَّها تدل على بشرية الأنبياء عليهم السلام مع جلالة قدرهم ورفعة مكانتهم، فلا يغالي فيهم أحد ويرفعهم إلى منزلة الربوبية أو الألوهية، وأنَّ الكمال المطلق هو لله تعالى وحده.

الوَحْي: تعريفه، أنواعه، كيفيَّاته، شُبُهَات حوله

مقدمة:

- ضرورة الوحي للنبوة.

أولاً: الوَحْي لُغَةً واصطلاحاً:

أ- الوحي في اللُّغة:

- أصل معاني الوحي في اللغة كلُّها ترجع إلى الإعلام في خفاء؛ ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً.
- وكذلك الإشارة والإيماء يُسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً ... وكل هذا إعلام، وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها.

ب- الوحي في الاصطلاح:

- هو أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.
- سئل الزهري عن الوحي فقال: الوحي ما يُوحي الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته، ولكنه يُحدث به الناس حديثاً، ويُبيِّن لهم أن أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم إيَّاه.
- والوحي وإذا أُطلق في لسان أهل الشرع انصرف إلى التعليم السري الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء، فهو أخصُّ من المعنى اللغوي بخصوص مصدره وموروده.

ثانياً: أنواع الوحي:

- جَمَعَ أنواع الوحي قوله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١].

- تفيد هذه الآية الكريمة: أنَّه ما صحَّ لأحد من البشر أن يخاطبه الله تعالى إلا على أحد ثلاثة أوجه: وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً.

أ- الوجه الأول: وحياً، ويشمل: الإلهام، والرؤيا في المنام:

١- وحياً: (الإلهام والقذف في القلب):

- كما أوحى الله تعالى إلى أم موسى: **﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**[القصص:٧].

- ومنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إنَّ رُوحَ القدُسِ نفثَ في رَوْعي أنَّ نفساً لنْ تموتَ حتّى تستكملَ أجلَها وتستوعبَ رِزقها ...**)).

٢- وحياً: (الرؤيا في المنام):

- كما أوحى الله إلى إبراهيم بذبح ولده إسماعيل، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[الصافات:١٠٢].

- ومنه مبدأ وحي النَّبِي محمد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الحديث الصحيح.

ب- الوجه الثاني: من وراء حجاب:

أي: أن يُسمعه من غير واسطة مُبَلِّغ، كما أسمع الله تعالى موسى كلامه من غير واسطة، قال تعالى: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾[النساء:١٦٤]، وكذا الملائكة الذين كلَّمهم الله تعالى في خلق آدم عليه السلام.

ج- الوجه الثالث: أن يُرسل رسولاً:

- أي: أن يُرسل إليه رسولاً من الملائكة، فيبغ ذلك الملك ذلك الوحي إلى الرسول البشري.
- ورسول الملائكة هو جبريل عليه السلام.

ثالثاً: كيفيَّات نزول الوحي:

لنزول جبريل عليه السلام بالوحي على النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ كيفيَّات عدة، وفيما يأتي بيانها:

أ- إن يأتي بصورته الحقيقة:

أي أنَّ جبريل عليه السلام يأتي إلى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ على صورته الحقيقية الملكية: ((**رَأَى رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فِيْ صُوْرَتِهِ وَلَهُ سِتُّمَائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيْلِ**[٦] **وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوْتِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيْمٌ**)).

---

[٦] المراد بالتَّهَاوِيل هنا: تَزَايينَ رِيشِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ صُفْرَةٍ وَحُمْرَةٍ وَبَيَاضٍ وَخُضْرَةٍ مِثْلَ تَهاوِيلِ الرِّيَاضِ؛ وَيُقَالُ لِمَا يَخْرُجُ مِنْ أَلوان الزَّهْر فِي الرِّيَاضِ التَّهَاوِيل، وَاحِدُهَا تَهْوَال، وأَصلها مَا يَهُولُ الإِنسانَ وَيُحَيِّرُهُ. ينظر: لسان العرب، مادة: (هول)، ٧١٣/١١.

ب- إن يأتي بصورة رجل:

أي أنَّ جبريل عليه السلام يأتي إلى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ على صورة رجل فيكلمه، كما ثبت في الصحيح: ((**وأَحْياناً يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُنِي، فأعِي ما يقولُ**))، وفي رواية: ((**وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ**))، فيراه الحاضرون ويستمعون إليه.

ج- أن يأتي خفية دون أن يراه أحد:

أي أنَّ جبريل عليه السلام يأتي إلى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عل النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أثر التغيُّر والانفعال، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يصف حالته عند الوحي في هذه الصورة، فيقول: ((**أحْياناً يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ**)).

- والحكمة في تقدمه: أن يفرغ سمعه للوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره، وجاء في الصحيح أنَّ هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه، وقيل: إنَّه إنما كان ينزل هكذا، إذا نزلت أية وعيد أو تهديد.

رابعاً: شُبُهَات حول الوحي:

أُثيرت حول الوحي، قديماً وحديثاً، شُبُهَات عدة من قبل المخالفين؛ لأنَّ الطعن في الوحي يؤدي إلى الطعن في النبوة، إذ به تلقَّى الأنبياء عليهم السلام معارفهم عن الله تعالى، بوساطة المَلَك الموكل بذلك، وتتخلص تلك الشُبُهَات في دَعوات سبق إليهما الكفرة المشركون من قبل، حين زعموا أنَّ النبي ﷺ - حاشاه - مجنون، أو هو مجرد أحلام، أو اتهامه بالكذب، أو أنَّه يعلمه بشر، أو أنَّه مصاب بمرض عصبي، ونحو ذلك ممَّا أبطله القرآن وفصَّل فيه علماء الإسلام ومفكروه، ولكن منكري النبوة والطاعنين بالوحي في هذا العصر، صاغوا شبهتهم تحت اسم: "الوحي النفسي"، التي وجدت لدى المنكرين ومثيري الشبهات مرتعاً خصيباً، لا سيما اليهود من المستشرقين،[٧] لما فيها من التلبيس الخبيث والمكر في الدَّسّ والافتراء الذي يُضفي على هذه الفرية مسحة كاذبة من دعوى البحث العلمي المعاصر؛ لذا نذكر فيما يأتي أبرز الوجوه التي تدل على بطلان هذه الدعوى:

١- تعتمد شبهة: "الوحي النفسي" على دعوى المرض العصبي، وهو كذب واضح يدل على الجهل الفاضح بشخص النبي ﷺ وبالقرآن الكريم، فالتاريخ يشهد بأدلته القاطعة للنبي ﷺ أنَّه كان أعظم الناس خلقاً، وأوسعهم أفقاً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم يداً، لا تصمد أمامه معضلة، ولا يتعقد أمامه موقف إلا واجهه بأحسن الحلول وأعلاها وأفضلها، وأنَّه كان أفصح الناس لساناً وأعذبهم بياناً، مما يشهد بأنَّه صلّى الله عليه وسلم أكمل العالم عقلاً وتفكيراً وأنَّه أمة وحده في علوّ أخلاقه وثباته وحلمه، وكمال عقله ورباطة جأشه.

---

[٧] مثل: المستشرق جولد زيهر.

٢- إعجاز القرآن، فإنَّ نفس الرسول ﷺ مهما صفت فإنها ستظل كسائر المتعبدين والعباقرة يأتون بالشيء العظيم لكن لا يعجز أمثالهم أن يلحقوا بهم أو يسبقوهم ويتفوقوا عليهم، وهذا القرآن الذي أوحي به إلى محمد بن عبد الله ﷺ مُعْجِز تحدى الجن والإنس، والأولين والآخرين، فلا يمكن أن يكون هذا الكتاب إلا من عند الله.

٣- إنَّ واقع الوحي يُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنَّه آتٍ من ذات مستقلة خارجة عن ذات النبي ﷺ وذلك واضح في حديث بدء الوحي في غار حراء، حيث إنَّ الملك جاء إلى النبي ﷺ فجأة كما في الحديث الصحيح المتفق عليه: ((**فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّانِيَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، ...**)).

٤- إنَّ الوحي كان ينزل على النبي ﷺ غير مرتبط بإرادته أو رغبته، ولا بتفكيره أو بحثه لدى وقوع المهمات، فربما كان في بيته يأخذ شيئاً من الراحة فينهض والبِشر على محياه، كما في خبر نزول سورة الكوثر، ومن القرآن ما تنزل في هزيع أخير من الليل، كآية التوبة على الثلاثة الذين خلّفوا؛ ولهذا كثرت أقسام القرآن بحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيّعا، ومنه ... ومنه، مما فصله علماؤنا في مصادر علوم القرآن.

٥- إنَّ عبقرية الإنسان مهما سمت وارتقت فإنَّها لا تخرج عن قانون الزمان والمكان، وتتقيد بحدودهما وآفاقهما، بينما نجد القرآن يتخطى دائما نطاق حدود معارف الإنسان، لا معارف النبي وبيئته، بل معارف عصر نزول القرآن جميعاً، ثُمَّ معارف العصور اللاحقة، فضلاً عمَّا في القرآن من تصحيح لتلك المعارف وتقويم عوجها من جذورها، ليدلَّ القرآن من خلال رحابة موضوعاته إلى أنَّ دور النبي محمد ﷺ فيه إنَّما هو الحفظ والوعي، أو الأخذ والتلقي، ثُمَّ الإبلاغ للعالم، فإن لم يكن هذا وحياً ممن يعلم السر في السموات والأرض فأيّ شيء يكون؟!.

وفي ضوء ما سبق فإنَّ الوحي أمر طارئ زائد على الطباع البشرية، خارجي عن النفس والباطن، لا يخضع لأي تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه النبي ﷺ عن الله تعالى، بواسطة المَلَك الموكل بذلك، ليُعْلِمه بما شاء من ألوان الهداية والعلم.

المعجزة: تعريفها وشروطها

مقدمة:

– إثبات النبوة لابُدَّ له من أمرين اثنين:

الأول: ادعاء النبوة.

الثاني: إظهار المعجزة.

– ظهور المعجزة على يد مدعي النبوة هو الفيصل في إثبات صدق النبوة والرسالة.

أولاً: المُعْجِزَة لُغَةً واصطلاحاً:

أ– المُعْجِزَة لُغَةً:

– المُعْجِزَة في اللُّغَةً: مأخوذة مِنَ العَجْزِ، وهو ضدُّ القدرة، يُقال: عَجَزَ يَعْجَزُ فهو مُعْجِز.

– أمَّا التاء في آخره، فمن العلماء من قال أُضيفت للمبالغة، كقولنا: عَالِم، وللمبالغة نقول: علَّام، وللمبالغة أكثر، نقول: علَّامة.

– ومنهم من قال: أُضيفت التاء للدلالة على الإسميَّة.

ب– المُعْجِزَة اصطلاحاً:

– عرَّف العلماء المُعْجِزَة اصطلاحاً بتعريفات عدة، منها: **هي: عبارة عمَّا قُصد به إظهار صدق من ادعى أنَّه رسول الله.**

– وهذا التعريف جاء بالرسم، وهو: يُبيِّن فائدة الشيء، أمَّا التعريف بالحد ففيه بيان لحقيقة الشيء، وماهيته.

– تعريف آخر للمُعْجِزَة: **أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، وعدم المعارضة، وزاد بعض العلماء: موافقة والدعوى، ومقارنة زمن التكليف.**

ثانياً: شروط المُعْجِزَة:

<u>الشرط الأول:</u> أن تكون المُعْجِزَة أمراً من الله تعالى؛ ليُصَدَّق مدَّعي النبوة:

والأمر يشمل:

١– القول: كالقرآن الكريم.

٢– الفعل: كتحول عصى موسى عليه السلام إلى حيَّة، قال تعالى: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ**﴾[الأعراف:١٠٧].

٣– التَّرْك: كعدم إحراق النَّار لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿**قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[الأنبياء:٦٩].

الشرط الثاني: أن تكون المُعْجِزَة خارقة للعادة، التي اعتاد عليها الناس، واستمروا عليها مرة بعد أخرى:

وهذا الشرط يُفيد أن غير الخارق لا يكون معجزةً، كما إذا قال: آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب.

الشرط الثالث: أن تكون المُعْجِزَة على يد مدعي النبوة أو الرسالة.

أي أنَّ صاحبها يدعو إلى دين، فيه سعادة الناس في الدنيا في الدنيا والآخرة.

وعندئذ لا تدخل فيه الأمور الآتية:

١- **الإهانة، وهي:** ما يظهر على يد فاسق أو كافر تكذيباً له، كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بصق في عين أعور لتبرأ، فعميت الصحيحة.

٢- **الاستدراج، وهو: ما يظهر على يد فاسق أو كافر، خديعة أو مكراً به:**

أي: استدراجاً لهم، وزيادة في غَيِّهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾[الأنعام:٤٤].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ**))، ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ...**﴾.

٣- **المعونة، وهي:** ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة.

٤- **الكرامة، وهي:** ما يظهر على يد صالح تقي ظاهر الصلاح.

- **تعريف الكرامة:** هي ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي، غير مقارن لدعوة النبوة.

الشرط الرابع: أن لا تكون المُعْجِزَة متقدمة على دعوى النبوة:

بل مقارنة لها، أو متأخرة عنها بزمن يسير يُعتاد مثله؛ لأنَّ المُعْجِزَة شهادة من الله تعالى على صدق المدعي، والشهادة لا تتقدم على الدعوى، فخرج بذلك: الإرْهَاصَات.

والإرْهَاص لُغَةً: مشتق من أَرْهَصْتَ الحائط، أي: أسسته.

أمَّا في الاصطلاح، فهو: ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كإظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، وشقِّ صدره، وككلام عيسى عليه السلام في المهد.

وهذه الإرهاصات هي بمثابة الكرامات؛ لأنَّ الأنبياء عليهم السلام قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء.

الشرط الخامس: أن تكون المُعْجِزَة موافقة لدعوى النبوة:

فخرج بذلك: المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

الشرط السادس: أن لا تكون المُعْجِزَة مكذبة له.

فخرج بذلك: ما إذا كانت مكذبة له، كما إذا قال آية صدقي نُطْقُ هذا الجماد، فنطق بأنَّه مُفْتَرٍ كذَّاب.

الشرط السابع: أن تتعذر معارضة المُعْجِزَة.

– **معنى عدم المعارضة:** أن لا يستطيع أحد أن يأتي بمثل ما أتى به النبي من المُعْجِزَة أو الأمر الخارق.

وخرج بهذا الشرط ما يأتي:

١– **السحر، وهو:** قواعد تكتسب بالتعليم يُقتدر بها على أفعال غريبة.

٢– **الكهانة، وهي:** التنبؤ بالمغيبات لا عن دليل.

٣– **الشعبذة (أو الشعوذة)، وهي:** خِفَة في اليد يُرى أنَّ لها حقيقة ولا حقيقة لها.

الشرط الثامن: أن لا تكون المُعْجِزَة في زمان نقض العادة.

فخرج بذلك: الخوارق التي تظهر في زمان نقض العادات، كزمن طلوع الشمس من مغربها؛ لأنَّ ما يظهر عند ظهور أشراط الساعة وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات.

مباحث تابعة للمُعْجِزَة

مقدمة:

– ما زلنا في دراسة مباحث النبوات، وكانت محاضرتنا الماضية في المعجزة، وبيَّنَّا فيها:

– أنَّ المعجزة في اللُّغة مأخوذة مِنَ العَجْزِ، وهو ضدُّ القدرة.

– وأنَّ المعجزة في الاصطلاح، هي: أمرٌ خارق للعادة، مقرون بالتحدي، وعدم المعارضة، مع موافقة والدعوى، ومقارنة زمن التكليف.

– ثُمَّ ذكرنا شروط المعجزة الثمانية.

– أمَّا محاضرتنا اليوم، فستشمل موضوعات عدة استكمالاً لمباحث المعجزة، وهي: الأول: المُعْجِزَة دليل صدق دعوى النبوة. الثاني: مُعْجِزَة كل نبي من جنس ما اشتهر به أهل زمانه. الثالث: الفرق بين مُعْجِزَة النَّبِي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ومعجزة غيره من الأنبياء. الرابع: شُبُهَات حول المُعجزات والردُّ عليها.

أولاً: المُعْجِزَة دليل صدق دعوى النبوة:

أ– المُعْجِزَة هي دليل صدق الأنبياء عليهم السلام في دعوى النبوة:

فهي الفيصل بين النَّبِي المبعوث من الله حقاً وبين غيره ممن ينتحل النَّبوة؛ لذلك أيَّد أنبياءه ورسله بالمعجزات الدالة على صدقهم، فيجب الإيمان بالمعجزات؛ لأنَّ إثبات النبوة لا يتم إلا باجتماع أمرين اثنين: أولهما: ادعاء النبوة. ثانيهما: إظهار المعجزة.

فهذان الأمران يشكلان المبدأ الأول في إثبات النبوة.

– والأنبياء عليهم السلام كانوا قبل بعثتهم في المقام العالي من المصداقية، فقد كانوا قمة في أخلاقهم وصدقهم، بل كانوا مثلاً يضرب به، ومع ذلك أيَّدهم الله تعالى بالمعجزات، لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرسل، ولكي يظهر صدقهم أمام مَنْ أرسلوا إليهم.

– قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣].

– وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**ما مِنَ الأنْبِياءِ مِن نَبِيٍّ إلَّا قدْ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وحْيًا أوْحَى اللهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ**)).

ب– وجه دلالة المُعْجِزَة على الصدق:

– إنَّ ظهور المعجزة على يد مدعي النبوة يُفيد العلم بصدقه، ويفيد تصديق الله سبحانه له.

– فهي بمنزلة التصديق بالقول، أي: أنَّها بمنزلة أن يقول الله تعالى: جعلته رسولاً، أو أنشأت الرسالة فيه.

– أي: أنَّها بمنزلة ما لو تجلى الله تعالى للبشر وأخبرهم بأنَّ هذا الذي ادعى النبوة وأتى بالمعجزة هو رسول من عنده سبحانه.

ثانياً: مُعْجِزَة كل نبي من جنس ما اشتهر به أهل زمانه:

– ذكرنا في تعريف المعجزة أنَّها أمر خارق مقرون بالتحدي.

– فلابُدَّ في المعجزة من التحدي، والتحدي متوجه من النَّبِي إلى قومه، فلابد أن يكونوا قادرين على ما هو من جنس ما أتى به النَّبِي، وإلا لم تتحقق إقامة الحُجَّة عليهم.

– فمعجزات الأنبياء عليهم السلام بخرقها العادة أعجزت المتحدَّيْن عن معارضتها، مع فرط اهتمامهم بالمعارضة وتوفر دواعيهم لتكذيب دعوى الأنبياء عليهم السلام.

– ولهذا كانت معجزة كل نبي من جنس ما غلب على أهل زمانه، وبرعوا فيه، وتهالكوا عليه، وتفاخروا به.

– فاشتهر قوم داود بالموسيقى، وعجزوا عن معارضة معجزة داود عليه السلام وهي مزاميره.

– واشتهر قوم موسى بالسحر، وعجزوا عن معارضة معجزة موسى عليه السلام في قلب العصا حية، وغيرها.

– واشتهر قوم عيسى بالطب، وعجزوا عن معارضة معجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

– واشتهر العرب قوم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بالفصاحة والبلاغة، ومع ذلك عجزوا عن معارضة معجزته وهي (القرآن الكريم) في بلاغته.

ثالثاً: الفرق بين مُعْجِزَة النَّبِي محمد ﷺ ومُعْجِزَة غيره من الأنبياء:

- يتضح الفرق بين مُعْجِزَة النَّبِي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ومُعْجِزَة غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من حيث: إنَّ معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام كانت معجزات مؤقتة انقضت بموتهم، ونحن لم نعاصرها ولم نطلع عليها، فلم يبق منها إلا الخبر؛ ولذلك لم نؤمن بها إلا من طريق السمع بإخْبَار لصادق المصدوق.

- بخلاف مُعْجِزَة سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي القرآن، فإنَّها لم تنتهِ بوفاته، بل هي قائمة موجودة بيننا، وحتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

رابعاً: من شُبُهَات منكري المُعجزات والرَّدّ عليها:

أ- من شُبُهَات منكري المُعجزات:

ذهب البعض إلى إنكار المعجزات متذرِّعين بالآتي:

١- إنَّ المعجزات خروج عن العادة المألوفة المشاهدة.

٢- إنَّ العلم الحديث وأصول البحث العلمي يقتضي عدم التعويل على الروايات في هذا الشأن.

ب- الردُّ على شُبُهَات منكري المُعجزات:

١- إنَّ طرق إثبات المعجزات صحيحة قطعاً، وقد ورد بعضها في القرآن، والبعض الأخر في الحديث الصحيح الذي قد يصل درجة التواتر، فإنكارها هو إنكار للقرآن، وصحيح الروايات من الحديث الشريف، ومن ثَمَّ إنكار كل ما ورد من أخبار دينية وصلتنا بطرق صحيحة متواترة، بل يلزم منه إنكار الأخبار غير دينية أيضاً.

٢- إنَّ تجاهل المعجزات وعدم الإيمان بها، يُعدُّ الخطوة الأولى لإنكار الغيبيات، وفي مقدمتها الإيمان بالله تعالى، وفي ذلك هدم للشريعة الإسلامية من الأساس.

٣- إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون ووضع نواميسه، وخلق الإنسان وعجيب تركيب أجزائه، وكذلك خلق الشجر وخلق الماء والجمادات والحيوانات، فالذي خلق هذا الكون من العدم، ورعاه، وهو الله سبحانه وتعالى، لا شكَّ قادر على أن يُغيِّر مجرى الأسلوب الذي هو عليه، بأن يخرق النظام الذي وضعه له، وفي ضوء ذلك فإنَّ المعجزات في حيز الممكن، وليست من المستحيلات.

٤- إجماع الأجيال المتعاقبة على ثبوت المعجزات، ولذلك آمنوا بالرسل والأنبياء، عليهم السلام.

٥- إنَّه وإن كانت معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام، قد وصلتنا بطريق السمع، فإنَّ معجزة القرآن موجودة بيننا، والتحدي بها قائم إلى يوم القيامة، فمن يُشكك بالمعجزات وحقيقة وقوعها، فلْيُعارض القرآن، ولْيأتِ ولو بسورة من مثله.

معجزات الرَّسُول ﷺ: المُعْجِزَة الخالدة (القرآن الكريم)

النوع الأول من مُعْجِزَات الرَّسُول ﷺ: المُعْجِزَة الخالدة (القرآن الكريم):

يُمثل القرآن الكريم المعجزة القاطعة الأصيلة في إثبات صدق نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ في دعواه النبوة، وفيما يأتي بيان ذلك بإيجاز:

أولاً: القرآن لُغَةً واصطلاحاً:

أ- **القرآن لُغَةً:** مصدر قرأ، كالغفران مصدر غفر، ومنه قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ*فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[القيامة:١٦-١٨].

ب- أمَّا القرآن في الاصطلاح، فهو:

كلام الله تعالى، المنزل على الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، المُعْجِز، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته.

ثانياً: معنى الإعجاز وشروطه:

ولابُدَّ من إقامة الدليل على أنَّ القرآن الكريم معجزةٌ، وأنَّه من عند الله تعالى، لتسلم لنا نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ويسلم الإسلام كله بعد ذلك، لذلك لابُدَّ من بيان معنى الإعجاز وشروط تحققه.

أ- معنى الإعجاز:

إثبات العجز للغير، يُقال: أعجز القرآن البشر، أي: أثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله.

ب- شروط الإعجاز:

ولا يتحقق الإعجاز إلا بشروط ثلاثة، هي:

١- التحدي، وهو: طلب المنازلة والمعارضة.

٢- وجود المقتضي، أي: ما يدفع المُتَحدَّى إلى المنازلة.

٣- عدم وجود مانع من المباراة.

فالمصارع إذا ادعى البطولة، وأنكر عليه مصارع آخر، فتحداه الأول، فلم يستطع الثاني منازلته، كان الأول قد أثبت عجز الثاني، وذلك: لوجود التحدي من الأول، ولحرص الثاني على إبطال دعوى الأول، ولانعدام المرض أو العذر المانع من المباراة.

ثالثاً: تحقق شروط الإعجاز في القرآن الكريم:

لبيان ثبوت إعجاز القران الكريم، لابُدَّ أن نعرض كل شرط من شروط الإعجاز المتقدمة على القرآن، ليتضح لنا إعجازه بجلاء، وذلك على النحو الآتي:

الشرط الأول: التحدي، وهو طلب المنازلة والمعارضة:

- فالقرآن الكريم تحدى العرب، وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله، وهم أرباب الفصاحة والبيان شعراً ونثراً، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ*فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[الطور:٣٣-٣٤].

- ثُمَّ تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[هود:١٣].

- ثُمَّ تحداهم بأن يأتوا ولو بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٣-٢٤].

- فلما عجزوا تحدى الإنس والجن بلهجة واخزة وتهكم لاذع، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[الإسراء:٨٨].

- وهذا التحدي لم يقف عند زمن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فحسب، بل هو ماضٍ إلى يوم القيامة.

الشرط الثاني: وجود المقتضي الذي يدفع المُتَحَدَّى إلى المنازلة:

فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ادعى أنَّه رسول الله، وجاءهم بكتاب الله (القرآن الكريم) يُسَفِّه عباداتهم، ويسخر من عقولهم، فحرصوا كل الحرص على رده بأن يأتوا بمثله أو ببعضه، ليدحضوا حجته، فلا يقال إنَّه من الله سبحانه.

الشرط الثالث: عدم وجود مانع من المباراة:

فالمانع الذي قد يمنع العرب من المعارضة غير موجود، وذلك متضح من جوانب عدة هي:

أ- **جانب اللغة:** فالعرب كانوا قادة الفصاحة والبيان بشعرهم ونثرهم، وكان القرآن بلسانهم.

ب- **جانب المعنى:** فقد كانوا على بصر وخبرة وتجارب وذكاء، كما تشير إلى ذلك خطبهم وأشعار هم ومنافراتهم وآثارهم.

ج- **جانب الزمن:** فالقرآن لم ينزل جملة واحدة، بل نزل خلال ثلاث وعشرين سنة، ليتسع مجال المعارضة.

رابعاً: وجوه الإعجاز القرآني:

القرآن الكريم مُعجز من وجوه متعددة، من أبرزها:

الوجه الأول: فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وعجيب نظمه:

فجميع ألفاظ القرآن الكريم فصيحة، لا تنبو عن السمع، وعباراته مطابقة لمقتضى الحال في أرفع مستوى من البلاغة، يُحس بطلاوته ورقته وروعته من له أدنى ذوق باللغة العربية، وهذا واضح في تشبيهاته واستعارته ومجازاته ومختلف اساليبه.

وهو غريب على العرب في اسلوبه، إذ ليس لهم كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة.

ثمَّ إنَّ عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت، ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، مع ذكر المواعظ والقصص وغيرها.

فلا يستطيع البشر ولا غيرهم الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ويتميز الأسلوب القرآني بجملة من الخصائص منه أبرزها:

١- مسحة القرآن الكريم اللفظية الخلابة العجيبة، المتجلية في نظامه الصوتي وجماله اللغوي، والمراد بنظام القرآن الصوتي: اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّآته وغنّاته، واتصالاته وسكتاته اتساقاً عجيباً وائتلافا رائعاً.

٢- إرضاؤه للعامة الخاصة.

٣- إرضاؤه العقل والعاطفة؛ لأنه يخاطب القلب والعقل معاً.

٤- جودة سبك القرآن وإحكام سرده.

٥- براعته في تصريف القول وثروته في أفنين الكلام.

٦- جمعه بين الإجمال والبيان.

٧- قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى.

الوجه الثاني: تأثيره وسلطانه القلوب، وأخذه بمجامع الأفئدة:

فقارئه لا يملّه، وسامعه لا يمجّه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، فإذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة والحلاوة ما تنشرح له الصدور، وتستبشر به النفوس، حتى أنَّ بعض كفار قريش على كفرهم وعنادهم كانوا يهيمون على وجوههم ليلاً، فيهجرون لذة النوم ليستعموا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يتلو القرآن الكريم، قائماً بالليل أو في صلاة الفجر، فتطرب نفوسهم وتهش له أفئدتهم.

الوجه الثالث: إخباره بوقائع غيبية في الماضي والحاضر والمستقبل:

أ- فمن الماضي: ما أخبرنا به من قصص الانبياء السابقين وأممهم، مثل: آدم ونوحاً وهود وصالح ويعقوب ويوسف وإبراهيم، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

ب- ومن الحاضر: أي الحاضر الذي كان في وقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، كما أخبر عن حقيقة مسجد الضرار، الذي بناه المنافقون، بغية التفريق بين المؤمنين والايقاع بينهم.

ج- ومن المستقبل: كما أخبر بغلبة الروم، ودخوله مكة، ....الخ.

الوجه الرابع: حقائقه العلمية التي جاء العلم الحديث يؤكدها:

فقد لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى الكون ونواميسه، وما فيه من عجيب المخلوقات، تأكيداً على أنَّ ذلك كلّه من الله تعالى، فما على الإنسان إلا الامتثال له، ومن ذلك: حركة الأرض، وتوسع الكون المستمر، وأنَّ الجبال هي أوتاد للأرض، وأنَّ الكواكب والأرض كانت شيئاً واحداً، ومراحل خلق الجنين، ...الخ.

الوجه الخامس: معانيه وأحكامه وانعدام الاختلاف فيه:

فمجموع آيات القرآن حوالي (ستة آلاف ومئتا) آية، اشتملت على موضوعات العقائد والاخلاق والتشريعات المختلفة، وفي شتى الميادين، واستغرق نزوله ثلاثاً وعشرين سنة، ومع ذلك لم يقع في الاختلاف والاضطراب، لا في بلاغة عباراته، ولا في أحكامه وحججه، لذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً**﴾[النساء:٨٢]، وهذا مصداق تعهد الله تعالى بحفظ القرآن.

الوجه السادس: القرآن الكريم خالد خلود الدهر:

فلا يُعدم ما بقيت الدنيا، ولا يطرأ عليه تغيير بزيادة أو نقصان؛ لأن الله تعالى قد تكّفل بحفظه، قال تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر:٩]، ولا يخفى ما في هذه الآية الكريمة من المؤكدات اللغويَّة، الدَّالة على أنَّ الله تعالى حفظه من التحريف والتبديل، فلا يطرأ عليه من الباطل شيء، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت:٤١-٤٢].

وبعد عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم:

هل يفكر عاقل فيقول: إنَّ محمداً ﷺ جاء بهذا القرآن من فكره، أو عقبريته، أو باعتماده على بحيرا الراهب وورقة وغيرهما...؟!

فلو أنصف العاقل ما قرر إلا الحقيقة الكُبرى، وهي: أنَّ القرآن الكريم مُعجز، وهو من لدن عزيز حكيم.

خامساً: القران الكريم والكتب السماوية الأخرى:

إنَّ أصول الرسلات السماوية وعقائدها وهدفها واحد وهو: توجيه البشر إلى طريق الصلاح، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾[الشورى:١٣] ، وقال سبحانه: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[النساء:٥٩]؛ ولذلك طلب القران الكريم الايمان بجميع الرسل وما أنزل عليهم من كتب، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[البقرة:٤].

لكن الإيمان المطلوب شرعاً بالكتب السماوية، ومنها الانجيل والتوراة والزبور، إنَّما يُراد به التصديق بأنَّ هذه الكتب من حيث أصلها هي من عند الله تعالى، وما جاءت إلا للغرض الذي جاء القرآن لإتمامه، وعلينا أن نعتقد جازمين أنَّ هذه الكتب وقع فيها التحريف والتبديل، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[لبقرة:٧٥]، ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾[المائدة:١٣]، لا سيما ما كان منه مخالفاً لصريح القرآن الكريم؛ لذا فإنَّ القرآن الكريم، هو الواجب الاتباع وحده دون سواه.

فضلاً عن أنَّ هناك جملة من الفروق بين القرآن الكريم وتلك الكتب، تعزز وجوب أتباعه دون ما سواه، وفيما يأتي بيانها:

١- الكتب التي نزلت قبل القرآن ضاعت نسخها الأصلية، ولم يبق منها إلا ترجمتها.

أمَّا القرآن الكريم، فهو محفوظ بلفظه وبكلماته، التي أنزلها الله تعالى على نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ووصل إلينا بهذا الشكل متواتراً.

٢- اختلط بتلك الكتب كلام الناس من الفقهاء أو المفسرين أو المؤرخين.

أما القرآن فلم يختلط به شيء، حتى من كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، بل منع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ من كتابة الحديث في بداية نزول القرآن، وكتب التفسير والحديث والفقه مستقلة تماماً عن القرآن، كما هو معروف.

٣- لم يستطيع أحد أن يثبت بإسناد تاريخي أنَّ أياً من تلك الكتب الموجودة الآن نزل على النبي الذي نُسب إليه ذلك الكتاب، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل فيه.
أمَّا القرآن فالتاريخ قاطع بشواهده أنه نزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ آياته منها ما عُيِّن مكان نزوله أو زمنه أو سببه.

٤- لغات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طويل، فلا يوجد من يتكلم بها، ومن يفهمها قلة.
أمَّا لُغَةً القرآن الكريم فهي لُغَةً حية يتكلم بها إلى الآن مئات الملايين من المسلمين في أقطار العالم المختلفة.

٥- أحكام كل من الكتب القديمة -كما يبدو من قراءتها- خاصة بالزمن وبالأمَّة التي نزل فيها ذلك الكتاب، جاءت تلبيه لحاجاته ووفق أحوال.
في حين أنَّ أحكام القرآن عامة لجميع الناس ولكل زمان.

٦- كلٌّ من الكتب القديمة وإن كان فيه من الدعوة الى الخير والصلاح والأخلاق، فإنَّه لم يستوفِ الفضائل.
أمَّا القرآن فقد استوفى الفضائل كاملة، سواء التي نُصَّ عليها في الكتب القديمة أم التي لم يُنَصَّ.

٧- تسرب إلى الكتب القديمة التحريف والتبديل، حتى تضمنت والأمور التي لا توافق العقل، وتقوم على الظلم، بل تحوي أموراً من قبيل الفحشاء والمنكر، حتى نُسبت إلى الأنبياء عليهم السلام.
أمَّا القرآن فإنَّه صلاحٌ كله ومُنزه عن الفاحشة، وليس فيه ما يخالف العقل.

٨- الشرائع القديمة اختصت بالعلاج الروحي.
أمَّا الشريعة الإسلامية فقد وضعت المبادئ الكفيلة بحل مشاكل الإنسان، وتلبية حاجاته المادية والروحية في كل زمان ومكان.

معجزات الرَّسُول ﷺ: المعجزات قصيرة الأمد

النوع الثاني: من مُعْجِزَات الرَّسُول ﷺ: المُعْجِزَات قصيرة الأمد (المؤقتة):

المعجزات قصيرة الأمد، هي: المعجزات المؤقتة، أي: التي لها وقت محدد وقعت فيه وانتهت، فهي كمعجزات الرسل والأنبياء السابقين عليهم السلام، زالت بزوال أيامها، وبموت من شاهدها، والمُتطلِّع إليها لا يجدها إلا في الأخبار، مثل:

- معجزات موسى عليه السلام: قلب العصا حية، وفلق البحر، ...إلخ، ومعجزات عيسى عليه السلام: إبراء الأبرص وإحياء الموتى ...إلخ.

- ومن هذه المعجزات ما ثبت بالقرآن الكريم، ومنها ما نُقل إلينا بالخبر المتواتر والآحاد، وفيما يأتي أمثلتها ممَّا ظهر على يدي حضرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ:

أ- انشقاق القمر:

وقد ثبت هذه المعجزة بالقران الكريم، قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾[القمر: ١].

والأحاديث في حادثة انشقاق القمر زاخرة كثيرة من طرق عدة في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، ومنها: ((**انْشَقَّ القَمَرُ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بشِقَّتَيْنِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: اشْهَدُوا**)).

ب- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ:

حين التمس الناس معه الماء للوضوء فلم يجدوه، وهذه المعجزة تكررت مرات عدة، كما ثبت ذلك في البخاري ومسلم وغيرهما، ومن ذلك: ((**أُتِيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بإنَاءٍ، وهو بالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في الإنَاءِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِن بَيْنِ أصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ، ...**)).

ج- إبراء المريض:

وجاء ذلك في وقائع كثيرة رواها البخاري ومسلم وأصحاب السنن، وغيرهم، ومن ذلك:

- قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يومَ خَيْبَرَ: ((**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُفْتَحُ على يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ ورَسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسولُهُ، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: أيْنَ عَلِيٌّ؟، فقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ ودَعَا له، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ به وجَعٌ،...**))، الحديث.

- ومن ذلك: أنَّ أبا سلمة أُصيب، قال: ((**فأُتي بي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فنفَث فيها ثلاثَ نفَثاتٍ فما اشتكَيْتُها حتَّى السَّاعةِ**)).

د- إخباره ﷺ بحوادث قبل وقوعها:

وهو كثير، مثل:

– قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**يوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَداعَى عليكم؛ كما تَداعَى الأَكَلةُ إلى قَصْعتِها، فقال قائلٌ: ومِن قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعنَّ اللهُ من صدورِ عدُوِّكم المهابةَ منكم، ولَيَقذِفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهَنَ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ، وما الوَهَنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا، وكراهيةُ الموتِ**)).

والذي ينظر إلى وضع المسلمين منذ أن اضمحل سلطانهم في الأرض، يجد طمع العالم بالمسلمين وبلادهم والكيد لهم مع كثرتهم الكاثرة.

– ومن ذلك: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا**)).

والناظر في أمة الإسلام بعد قرونها الأولى، يجد الصنف الأول من شيوع الظلم وإيذاء الناس، ويجد في عصرنا الحاضر صورة النساء في عُرِيِّهُنَّ وفتنَتِهُنَّ التي رسمها الحديث الشريف.

الشواهد الأخرى على صدق نبوة الرَّسُول ﷺ

بعد بيان ركني نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وهما: ادعاءه النبوة، وإظهاره المعجزة، وهما كافيان في إثبات النبوة، يأتي هذا الموضوع لتعزيز هذين الأساسين، بوجوه أخرى مؤكدة ومقررة لصدق نبوته ﷺ، يمكن أن نسميها: شواهد على صدق النبوة، ومن أبرزها:

الشاهد الأول: ما اجتمع فيه ﷺ من الشمائل والأوصاف:

سواء كان ذلك قبل النبوة أو حالها أو بعدها، وهذا المسلك ارتضاه الجاحظ من المعتزلة والغزالي من الأشاعرة وهذه هي:

١– الصدق والأمانة، والشفقة على أمته، والسخاء، والصبر على البلاء، خاصة بعد النبوة، والتواضع مع الفقراء والمساكين، والشجاعة الفريدة، والنجدة، والعفو مع القدرة، والحلم، والوفاء، والعدل، والوقار، والحياء، وكان ﷺ حلو الكلام، ليِّن العَرِيْكَة،[٨] طَلْق الوجه، يحبه كل من لقيه أو جالسه، مع النظافة والهندام الجميل.

٢– هذا مع صفاء نفسه من الحقد والأنانية والشك والشرك.

---

[٨] أي: كان سَمْح الخلق، طيِّب المعشر، ﷺ.

٣- وحسن بدنه، سواء في جمال المظهر بسلامته من الأمراض المنفرة وقوته الجسمانية، فقد صارع ركانة المصارع المشهور وصرعه، أو في المَخْبَر، فكان ذكي الفؤاد ثاقب القريحة يهابه كل من رآه، عرفه أو لم يعرفه.

٤- ورفعة نسبه، إذ إنَّه من أشرف بيوت قريش التي هي أشرف قبائل العرب قاطبة.

٥- وشرف وطنه، إذ إنَّه من مكة المكرمة أطهر بقاع الأرض؛ لأنَّ فيها بيت الله الحرام وما يجتمع مثل هذا إلا في نبي.

الشاهد الثاني: ما اشتملت عليه شريعته من أمور تتعلق بالعقائد والأخلاق والأحكام العامة:

وغيرها من دقائق التشريع والحكمة وما فيها من الضبط والعدل والمرونة، مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، كما شهد بذلك الأعداء، وكما قيل: "والفضل ما شهدت به الأعداء".

الشاهد الثالث: انتشار دينه ﷺ واتساع دولته:

فإنَّ النبي ﷺ مع فقره وقلة أنصاره وضعفهم قد حارب الشرك وأهله وجبابرة العالم، فضلل أراءهم وهدم دولهم، وانتشر دينه في الأفاق، فانحسرت أمامه جميع الاديان واتسعت دولته بعده، فحررت الشرق والغرب وحكمتهما، فلم يستطع العدو على كثرتهم في العدد والعدة، وعلى تربصهم به وبإصحابه، وحرصهم على استئصاله ودعوته، أن ينالوا منه، أو يقدروا عليه، وما هذا إلا إمداد من الله تعالى له ولمن كان على دعوته، قال تعالى:﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الروم:٤٧].

الشاهد الرابع: ظهوره ﷺ على فترة من الرسل وانتشار الضلالة:

فالعرب على عبادة الأوثان، والفرس على تعظيم النار وعلى الإباحية، والترك على التخريب الأمصار وإيذاء الناس، والهنود على عبادة البقر وتأليه الحجر، واليهود على الحقد والانانية والشرك، والنصارى بين التوحيد والإشراك بالله.

هكذا الناس على الأرض فلابُدَّ من دافع لهذا الإلحاد، ورافع للواء الصلاح والنُّقى، ولا يكون هذا إلا ممن أمده الله تعالى بنور النبوة.

الشاهد الخامس: البشارات الواردة في كتب الأنبياء السابقين:

لاشك أنَّ الكتب السماوية مصدرها واحد، وهو: الله تعالى، وهدفها واحد، وهو: إصلاح الناس، ليعبدوا الله وحده لا شريك له، والله سبحانه تعالى جعل من أركان الإيمان: الإيمان بكتبه ورسله، وفي هذه الكتب السابقة بشارات تُنْبئ بظهور محمد ﷺ وبعثته، حتى ذكر القرآن الكريم أنَّ عيسى عليه السلام قد بشر برسول من بعده اسمه:

أحمد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[الصف:٦].

وفيما يأتي أمثلة لهذه البشارات:

١- البشارة في الزبور:

الزبور هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على داود عليه السلام، ومما جاء فيه: (سيُولد لك ولدٌ، أُدعى له أباً، ويُدعى لي ابناً، اللَّهم أبعث جَاعِل السُّنة، حتى يعلم الناس أنَّه بشر).

يعني: ابعث محمداً حتى يعلم الناس أنَّ عيسى عليه السلام بشر.

٢- البشارة في التوراة:

التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام، جاء في السفر الخامس منه: (جاء الله من طُوْر سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران).

يريد الإخبار عن إنزال التوراة على موسى عليه السلام بطُوْر سيناء، والانجيل على عيسى عيه السلام، فإنَّه كان يسكن في محلة اسمها: (ساعير)، بقرية تسمى ناصرة، وإنزال القرآن على محمد بمكة، فإنَّ معنى استعلن: ظهر، و(فاران) جبال الحجاز، تقع في طريق مكة، وهي على يسار الطريق من العراق الى مكة، وهذا ما ذُكر في التوراة: إنَّ إسماعيل عليه السلام أقام ببرية فاران يعني بادية العرب.

٣- البشارة في الإنجيل:

الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام، قد ورد في الصحاح الرابع عشر: (أنا أطلب لكم إلى أبي حتى يمنحكم ويعطيكم فارقليطاً؛ ليكون معكم إلى الأبد، وفارقليط روح الحق واليقين)، والفارقليط، هي اللفظ العربي للكلمة السريانية: (پيركلتوس)، وتعني: المحمود، وقوله: (ليكون معكم إلى الأبد)، يفيد بأنَّه بهذا النبي تُختم النبوة، فتكون شريعته شريعة عامة لا يحتاج الناس بعدها إلى نبي، فهو يُعلِّم الناس ويمنحهم جميع الأشياء.

وفي الصحاح السادس عشر: (أقول لكم الآن حقاً ويقيناً: إنَّ انطلاقي عنكم خير لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلت به إليكم، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم ويدينهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر، .... إذا جاء روح الحق واليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبركم ويذكركم لجميع الحق؛ لأنَّه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه).

عموم الرسالة وختم النبوة وواجبنا نحو الرسول ﷺ

عموم رسالة النبي محمد ﷺ

رسالة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ عامَّة إلى جميع الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، وقد دلَّ على ذلك القرآن والسنة.

أولاً: دلالة القرآن على عموم رسالة النبي محمد ﷺ:

١- قول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ: ٢٨].

٣- قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[الأعراف:١٥٨].

ثانياً: دلالة السُنَّة على عموم رسالة النبي محمد ﷺ:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِياءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِداً وطَهُوراً، وأَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنائِمُ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النّاسِ كافَّةً، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ**)).

ثالثاً: قتال أهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم:

وممَّا يدلُّ على عموم رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أيضاً، قتاله لأهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم، وفتوحات الخلفاء الراشدين، لنشر الإسلام محل الأديان الأخرى.

بينما كان الأنبياء السابقون مرسلين إلى أقوامهم خاصة، وهذا واضح في القرآن الكريم قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾[الأعراف:٥٩]، ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٦٥]، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٧٣]، ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٨٠]، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٨٥]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:١٠٣]، وقال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[آل عمران:٤٩].

وفي ضوء ما سبق، فإنَّ مَن اتبع النبي محمداً ﷺ فقد اتبع الأنبياء جميعاً، ومن أنكر نبوته فقد أنكر نبوة الأنبياء جميعاً، وما ذلك الإنكار إلا مكابرة وعناد وهدر لقيمة العقل؛ لذلك يستحق صاحبه العقاب الشديد يوم القيامة.

النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء ورسالته خاتمة الشرائع

أ- دليل ختم النبوة بالرسول محمد ﷺ:

الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، هو: خاتم الانبياء والمرسلين بدليل:

١- قوله تعالى: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾**[الأحزاب:٤٠].

٢- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: **((مَثَلِي ومَثَلُ الأنْبياءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنى داراً فأتَمَّها وأَكْمَلَها إلّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النّاسُ يَدْخُلُونَها ويَتَعَجَّبُونَ مِنْها، ويقولونَ: لَوْلا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فأنا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الأنْبياءَ))**.

٣- معجزته الدالة على صدق نبوته، وهي: (القرآن الكريم)، خالدة قائمة إلى يوم الدين.

أمَّا ما صح من الأحاديث التي تذكر أنَّ المسيح عليه السلام ينزل قُبيل قيام الساعة، فالثابت أنَّه لا ينزل بوحي جديد، وإنَّما ينزل فيحكم بشريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولذا حين ينزل يكسر الصلبان، ويقتل الخنزير، ولا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام.

ولذلك كانت شريعة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ خاتمة الشرائع السماوية وناسخة لها، وهو مصداق قوله تعالى: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾**[آل عمران:١٩]، وقوله سبحانه: **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[آل عمران:٨٥].

ب- مقومات شريعة الإسلام لتكون خاتمة للشرائع السابقة:

يمكن أن نوجز المقومات التي توفرت في الشريعة الإسلامية لتكون خاتمة الرسالات السابقة، بما يأتي:

١- شريعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بينة واضحة ينظر إليها المتزود الطالب العلم في أي وقت وفي أي مكان، فينهل منها ما يسد حاجته.

٢- لا حاجة إلى شريعة تُضيف الى الإسلام، أو تُنقص منه؛ لأنَّه لا قصور فيه عن حل أية مشكلة تواجهه، فقد أعطت الشريعة الإسلامية حكمها في كل المشاكل الكثيرة التي لا حصر لها، والتي حدثت للمسلمين في جوانب الحياة كافَّة، من لدن عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا؛ لذا فإنَّ الحاجة قائمة إلى من ينشر شريعتنا الإسلامية؛ ليتزود العالم بالعلاج الناجع الذي يستأصل شأفة أمراض الأمم جميعاً.

٣- إنَّ نبوة محمد ﷺ عامَّة إلى أهل الأرض جميعاً، فلم تختص بها أمة أو بلد أو زمن.

٤- إنَّ الله سبحانه وتعالى قد حفظ (القرآن الكريم)، وهو المصدر الأساسي للشريعة الإسلامية، وكذلك حفظ المصدر الثاني وهو: (السنة النبوية) إجمالاً.

واجبنا نحو الرَّسول محمد ﷺ

بعد أن أنعم الله تعالى على المسلم بأن آمن بالله ونبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، كان عليه أن يعرف أبرز واجباته تجاه النبي ﷺ:

١- محبته أكبر من النَّفس والولد والمال والناس، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنّاسِ أجْمَعِينَ**))، وهذه المحبة لا تتجلى إلا في طاعته طاعة كاملة في كل ما يقول.

٢- تبجيله واحترامه حياً وميتاً ففي حياته: لا يجوز سبقه بالحديث، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[الحجرات:١]، ولا يجوز رفع الصوت في حضرته، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[الحجرات:٢].

ويبقى هذا الاحترام حتى بعد مماته، فلا يرفع الصوت عند قبره، أو في مسجده ﷺ، كما يجب التأدب عند سماع حديثه، والرضا بما قال وعدم الخروج عليه.

٣- عدم إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[التوبة:٦١].

والإيذاء يشمل: السب، أو الطعن به، أو بشرعه، أو بزوجاته الطاهرات، قال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[الأحزاب:٦]، أو الطعن بآل بيته، أو أصحابه، أو سبهم...الخ.

٤- الصلاة والسلام عليه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَاً**﴾[الأحزاب:٥٦].

٥- وجوب التأسي به ﷺ، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرَاً**﴾[الأحزاب:٢١]، والتأسي هو الاقتداء به في كل أقواله وأفعاله.

اليوم الآخر: معناه، تسميته، دليله، وحكم الإيمان به

أولاً: معنى اليوم الآخر وتسميته:

أ- معنى اليوم الآخر:

من الأمور المسلم بها في الدين الإسلامي: اليوم الآخر، وهو يعني: الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت يُبعث فيها الناس بعد موتهم، ويحاسبون على ما قدموا من أعمال فيجازون عليها، فأمَّا الذين عملوا الصالحات فلهم جنة الخلد، وأمَّا الذين كفروا وعملوا السيئات فلهم النار يشقون فيها بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[الزلزلة:٦-٨].

ب- تسميته:

سُمِّيَ باليوم الآخر؛ لأنَّه آخر أيام الدنيا بمعنى: أنَّه متصل بآخر أيام الدنيا؛ لأنَّه ليس منها حتى يكون آخرها، و سُمِّيَ بيوم القيامة لقيام الناس من قبورهم، وقيامهم بين يدي خالقهم، وقيام الحُجَّة لهم وعليهم، وله نحو ثلاثمائة اسم، منها: يوم الحساب، يوم الحشر، يوم البعث، ... الخ.

ثانياً: أدلة اليوم الآخر:

دلَّ الدليل من العقل والنقل على اليوم الاخر، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- الدليل العقلي:

يمكن أن نقيم أدلة عقلية كثيرة على اليوم الآخر، والبعث بعد الموت، من حيث إنَّه أمر ممكن الوقوع، وليس بمستحيل لا يتصور العقل حدوثه، ومن ذلك:

١- الجسم الإنساني يموت ويحيى ملايين المرات خلال هذه الحياة:

يتألف الجسم الإنساني من الخلايا وهي ذرات صغيرة جداً ومعقدة يزيد عددها في جسم الإنسان على ألف مليون خلية، تبني الجسم كما يُبنى الجدار، وهذه الخلايا تتغير فيموت منها حوالي: (١٢٥) مليون خلية في الثانية الواحدة.

ومعنى ذلك أنَّ جسم الإنسان يموت ويحيا مرات كثيرة في الحياة الدنيا، ولكن مع ذلك فهو محتفظ بشخصيته وعاداته وأفكاره وعلمه وأمانيه، وهو لا يُحسُّ بأنَّ شيئاً من أعضائه قد تغيَّر، ومثله في ذلك مثل النهر الجاري، الذي يتغير ماؤه دائماً، ومع ذلك فهو ذلك النهر بعينه.

فالذي يعيش خمسين سنة يكون قد كان قد مات حوالي: خمس مرات، فإذا مات في المرة السادسة فكيف يمكن أن يُجزم أنَّه لا سبيل له إلى الحياة مرة أخرى؟!

٢- الشهادة التجريبية (دلالة النشأة الأولى):

من الأدلة العقلية على إمكان اليوم الآخر والحياة بعد الموت: **الشهادة التجريبية أو دلالة النشأة الأولى**، أي حياتنا الأولى، فتسليمنا بواقع حادث في حال وهو حياتنا هذه، وإنكار إمكان حدوثه في المستقبل لا يعدو كونه عداء للمنطق والعقل، وقد ذكر جميع العلماء، بما فيهم دارون، الذين حاولوا شرح الكون والحياة: أنَّه لو هُيِّئت الأحوال نفسها التي ساعدت في خلق الحياة الأولى فمن الممكن حدوث الحياة ولوازمها مرة أخرى.

أي أنَّ عودة الحياة أمر ممكن، وليس بمستحيل، وهذا الدليل العقلي، قد ذكره القرآن واحتج به على المنكرين، قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[يس:٧٨-٧٩].

ب- الدليل النقلي على اليوم الآخر:

بعد أن أقمنا الأدلة اليقينية على وجود الله عزَّ وجلَّ ووحدانيته، وأنَّه كالئ الكون بعنايته ورعايته، وأقمنا الأدلة على أنَّ محمداً هو رسول الله حقاً ويقيناً، عندئذ أصبح لزاماً أنَّ نوقن بأنَّ كل ما أخبرنا عن الله تعالى حق وصدق ونسلم به، ومن ذلك ما أخبرنا به عن اليوم الآخر وأحواله، فهو حق لا مرية فيه؛ لأنَّه ثبت بالتواتر عن المقطوع بصدقه، وإن كان من الأمور الغيبية التي لا تقع تحت الحواس، فلا تحكم فيها بالنفي والاثبات.

وقد دلَّ الدليل النقلي (السمع) من الكتاب والسنة والإجماع على ثبوت اليوم الآخر، وأنَّ ثَمَّة يوماً يُبعث فيه الناس، ليحاسبوا على ما قدموا من عمل:

١- أدلة ثبوت اليوم الآخر من القرآن:

الأدلة من القرآن الكريم على ثبوت اليوم الآخر والبعث بعد الموت، كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[الأنبياء:١٠٤].

وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[المؤمنون:١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾[التغابن:٧].

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[المجادلة:٦].

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[الزلزلة:٦-٨].

قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[يس:٧٨-٧٩].

وكذا سائر الآيات القرآنية التي تذكر القيامة وأهوالها، والجنَّة والنَّار وأحوال وأهلها، ونحو ذلك، فكلها تدلُّ على اليوم الآخر والبعث بعد الموت.

٢- أدلة ثبوت اليوم الآخر من السنة:

كما دلَّ القرآن الكريم على ثبوت اليوم الآخر، والبعث بعد الموت، كذلك دلَّت السنة، ومن ذلك: عن عبدالله بن عباس ﷺ قال: ((**قامَ فِينا رَسولُ اللهِ خَطِيباً بمَوْعِظَةٍ، فَقالَ: يا أَيُّها النّاسُ إنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً: ﴿كما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنا إنّا كُنّا فاعِلِينَ﴾**))، وكذا سائر الأحاديث التي تذكر القيامة وأهوالها، والجنَّة والنَّار وأحوال وأهلها، ونحو ذلك، فكلها تدلُّ على اليوم الآخر والبعث بعد الموت.

٣- دلالة الإجماع على ثبوت اليوم الآخر:

أجمعت الأمة الإسلامية، بمختلف مذاهبها وفرقها على ثبوت اليوم الآخر، وأنَّه من أصول الدين، ومنكره كافر خارج عن الملة، مأواه جنهم وبئس المصير.

ثالثاً: حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الست، ويكفر منكره، كما دلَّ عليه الكتاب، قال تعالى: **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً**﴾[النساء:١٣٦]، وفي حديث جبريل عندما سأل عن الإيمان، قال رسول الله ﷺ: ((**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**))، وأجمعت الأمَّة على أنَّ مَنْ لا يُؤمن باليوم الآخر فهو كافر خارج عن ملة الإسلام.

وقد فصَّل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أخبار اليوم الآخر وما يتصل به من مشاهد القيامة، وفصَّل أوصاف الناس في الجنة والنار، وبرزت فيه المشاهد حية واضحة مكتملة السمات تخفق لها القلوب وتقشعر منها الأبدان.

رابعاً: الايمان باليوم الآخر نتيجة للإيمان بالله تعالى:

الإيمان باليوم الآخر هو نتيجة للإيمان بالله تعالى، وهذا ما أشار إليه القرآن في أكثر من آية عندما قرن بينهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:٨]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾[البقرة:١٧٧].

لذا فإنَّ المجادلة باليوم الآخر مع من لا يؤمن بالله تعالى ورسوله، تكون عبثاً، بل الواجب أن نحيله إلى البراهين القطعية على وجود الله تعالى وقدرته وصفاته، وإثبات صدق النبوة، فإذا أقرَّ بذلك كان إيمانه باليوم الآخر تحصيل حاصل؛ لأنَّنا بعد أن أقمنا الأدلة اليقينية على وجود الله عزَّ وجلَّ ووحدانيته، وأنَّه كالئ الكون بعنايته ورعايته، وأقمنا الأدلة على أنَّ محمداً هو رسول الله حقاً ويقيناً، عندئذ أصبح لزاماً أنَّ نوقن بأنَّ كل ما أخبرنا عن الله تعالى حق وصدق ونسلم به، ومن ذلك ما أخبرنا به عن اليوم الآخر وأحواله، فهو حق لا مرية فيه؛ لأنَّه ثبت بالتواتر عن المقطوع بصدقه، وإن كان من الأمور الغيبية التي لا تقع تحت الحواس، فلا تحكم فيها بالنفي والاثبات.

الموت أول منازل الآخرة، والمبادرة إلى التوبة

أولاً: الموت أول منازل الآخرة:

أ- منازل الآخرة تبدأ بالموت:

الموت هو مفارقة الروح للبدن، وهو الحدُّ الفاصل بين الحياة الدنيا وبين الآخرة، وهذا يعني أنَّ منازل الآخرة تبدأ بالموت، وفي الأثر: " إذا مات أحدُكم؛ فقد قامتْ قيامتُه؛ فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ"؛ فكأنَّه انتقل إلى عالم الآخرة، حيث لا عمل، وتكون حياته في القبر نموذجاً عمَّا ستكون عليه في الآخرة.

ب- انقطاع العمل بالموت:

الموت هو الخاتمة التي تنتظر كل حيٍّ، ولا بد للإنسان أن يعلم أنَّه بالموت ينقطع العمل، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إذا مات الإنسانُ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ؛ صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدْعو له**)).

ثانياً: المبادرة إلى التوبة قبل الموت:

لما كان الموت هو الخاتمة التي لا مفرَّ منها، ولا يُعلم موعدها، كان لابُدَّ للعاقل أن يشغل نفسه بالاستعداد لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**يَتْبَعُ الميِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنانِ ويَبْقى معهُ واحِدٌ: يَتْبَعُهُ أهْلُهُ ومالُهُ وعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أهْلُهُ ومالُهُ ويَبْقى عَمَلُهُ**))، وفي مقدمة ذلك التوبة النصوح، وهي التوبة الصادقة الخالصة لله تعالى.

أ- التوبة لُغَةً واصطلاحاً:

١- التَّوبَةُ لُغَةً: الرجوع، يُقال: تاب، إذا رجع.

٢- التَّوبَةُ اصطلاحاً: الرجوع عمَّا كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه.

ب- حكم التوبة:

التوبة فرض على المؤمنين بالاتفاق، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[النور:٣١]، وقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[التحريم:٨].

ج- وقت التوبة:

جعل الله تعالى باب التوبة مفتوحاً حتى ظهور علامة من علامات قيام الساعة، وهي: طلوع الشمس من مغربها، فإذا وقع ذلك أُغلق باب التوبة، قال رسول ﷺ: ((**إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها**))، هذا من حيث العموم، أمَّا من حيث تعلق الأمر بالإنسان كفرد، فإنَّه توبته تقبل ما لم يصل لمرحلة الغرغرة من الموت، قال رسول الله ﷺ:

((**إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى يقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرغِرْ**))، والغرغرة هي وصول الروح إلى الحلقوم، فعلى العبد أن يبادر فوراً إلى التوبة من كل ذنب، ولا يجوز تأخيرها، فإنَّها لا تنفع عند المعاينة، ووقت حضور الأجل؛ لأنَّها ستكون توبة ضرورة لا اختيار، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾[النساء:١٧-١٨].

د- ما يتوب منه العبد:

التوبة تكون من كل ذنب صغيراً كان أم كبيراً، ولكن صغائر الذنوب قد تغفر بالحسنات، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾[هود:١١٤]، وقال تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾[النساء:٣١]، وأمَّا الكبيرة فلابُدَّ لها من توبة على وجه الخصوص.

والتوبة عبادة يبادر إليها العبد حتى لو لم يعلم أنَّه وقع منه ذنب، وقد قال رسول الله ﷺ: ((**واللهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً**)).

هـ- شروط التوبة:

لابُدَّ لقبول التوبة من تحقق شروط فيها، وهي:

١- أن تكون خالصة لله عزَّ وجلَّ، وحياء منه وخوفاً، لا من غيره؛ لأنَّ الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له وحده.

٢- الندم بالقلب على ما اقترف من معصية.

٣- ترك المعصية في الحال والاقلاع عنها.

٤- العزم على عدم العودة إلى مثلها في المستقبل.

٥- هذا إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، ولم تتعلق بحق لآدمي، فإن كانت متعلقة بحقٍ لآدمي، فيُشترط: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه، وإن كانت حدَّ قذف ونحوه مكَّنه منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها.

و- فضل التوبة:

للتوبة فضائل عظيمة، تعود على الإنسان بالخير في الدنيا والآخرة، منها:

١- **محبة الله تعالى للتائب:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[البقرة:٢٢٢].

٢- **تزكية النفس:** أي طهارتها وتنقيتها من الآثام والخطايا والمعاصي، قال رسول الله ﷺ: ((**الإسلامُ يَجُبُّ ما قبلَه، والتوبةُ تَجُبُّ ما قبلَها**))، وقال أيضاً: ((**التّائبُ منَ الذَّنبِ كمَن لا ذَنبَ لَهُ**)).

٣- **سعة الرزق وكثرة النسل وزيادة العزة والمنعة:** قال تعالى حكاية عن نبي الله هود عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾، وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**﴾[نوح:١٠- ١٢].

٤- **رفع البلاء عن الناس بالتوبة:** قال سبحانه وتعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[الروم:٤١]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "لعلّهم يتوبون من المعاصي".

٥- **التوبة والاستغفار تجلب الراحة النفسية والطمأنينة:** قال رسول الله ﷺ: ((**مَن لزِم الاستغفارَ جعل اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجاً ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً ورزَقه من حيثُ لا يحتسبُ**)).

٦- **مداومة التوبة والاستغفار اتباع للنبي ﷺ:** قال رسول الله ﷺ: ((**واللهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً**)).

سؤال القبر وعذابه ونعيمه

أولا: تعريف البرزخ والقبر:

أ- البَرْزَخ:

١- **البرزخ لغة:** ما بين كل شيئين من حاجز، وقال تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**﴾(الرحمن:١٩-٢٠)، أي: بينهما حاجز يمنعهما من أن يختلط احدهما بالآخر.

٢- **البرزخ اصطلاحاً:** الحاجز بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾(المؤمنون:١٠٠)، والمراد به الدار والحال الذي يكون فيه الإنسان بعد الموت، وقبل قيام الساعة.

ب- القَبْر:

القَبْر: مفرد، يجمع على قبور، وهو جمع كثرة، وأَقْبُر، وهو جمع قِلّة، ويُقال لمدفن الموتى: مَقْبَر ومَقْبَرَة.

ج- القبر أول منازل الآخرة:

كان عُثمانُ رضيَ اللهُ عنه إذا وَقَفَ على قَبرٍ بَكى حتّى يَبُلَّ لِحيَتَه، فقيل له: تَذكُرُ الجَنَّةَ والنّارَ فلا تَبكي، وتَبكي مِن هذا؟! فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((**القَبرُ أوَّلُ مَنازِلِ الآخِرةِ، فإنْ يَنجُ منه فما بَعدَه أيْسَرُ منه، وإنْ لمْ يَنجُ منه فما بَعدَه أشَدُّ منه، قال: وقال رسولُ اللهِ ﷺ: واللهِ ما رأيْتُ مَنظَرًا قَطُّ إلّا والقَبرُ أفظَعُ منه**)).

ثانياً: سؤال القبر معناه ودليله وحكم الإيمان به:

أ- معنى سؤال القبر:

ويراد به: أنَّ الله تعالى يُحيي العبد المكلف في قبره بردِّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه؛ ليعقل ما يُسأل عنه، وما يجيبه، ويفهم ما آتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان.

ب- أدلة سؤال القبر:

الأدلة على ثبوت سؤال القبر كثيرة، منها:

١- عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**المسلمُ إذا سُئِلَ في القبرِ، يشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، فذلك قولُه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ﴾**)).

وفي رواية أخرى: عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ في عَذابِ القَبْرِ، فيُقالُ له: مَن رَبُّكَ؟ فيَقولُ: رَبِّيَ اللهُ، ونَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذلكَ قَوْلُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ﴾**)).

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: ((**إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ في قَبْرِهِ وتَوَلّى عنْه أصْحابُهُ، وإنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ، أتاهُ مَلَكانِ فيُقْعِدانِهِ، فَيَقُولانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فأمَّا المُؤْمِنُ، فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللهِ ورَسولُهُ، فيُقالُ له: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النّارِ قدْ أبْدَلَكَ اللهُ به مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ، فَيَراهُما جَمِيعاً، ...، وأمّا المُنافِقُ والكافِرُ فيُقالُ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيَقولُ: لا أدْرِي كُنْتُ أقُولُ ما يقولُ النّاسُ، فيُقالُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ويُضْرَبُ بمَطارِقَ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُها مَن يَلِيهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ**)).

ج- حكم الإيمان بسؤال القبر:

الإيمان بسؤال القبر، واجب لثبوته بالأدلة، وهو مذهب الجمهور.

ثالثاً: عذاب القبر ونعيمه ودليله وحكم الإيمان به:

القبر أول منازل الآخرة كما تقدم، وهو إمَّا أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، فيما يأتي بيان ذلك:

أ- أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه:

استدل العلماء على ثبوت عذاب القبر ونعيمه بأدلة كثيرة، من الكتاب والسنة:

۞ أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه من القرآن:

١- قوله تعالى في آل فرعون: **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾**(غافر:٤٦)، أي قبل يوم القيامة، وذلك في القبر، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها: **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾**.

٢- قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾(غافر:١١).

- فالمراد بالإماتتين والإحياءين في هذه الآية هو: الإماتة قبل مزار القبور، ثُمَّ الإحياء في القبر، ثُمَّ الإماتة فيه أيضاً بعد مسألة منكر ونكير، ثُمَّ الإحياء للحشر، قال المفسرون والغرض بذكر الإحياءين أنَّهم عرفوا فيهما قدرة الله على البعث؛ ولهذا قالوا: ﴿ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾، أي: الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنَّما لم يُذكر الإحياء في الدنيا؛ لأنَّهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في هذا الإحياء.

- وذهب بعض العلماء إلى أنَّ المراد بالإماتتين ما سبق، وبالإحياءين: في الدنيا والإحياء في القبر؛ لأنَّ مقصودهم ذكر الأمور الماضية، وأما الحياة الثالثة، أي: حياة الحشر فهم فيها، فلا حاجة إلى ذكرها.

وعلى هذين التفسيرين كليهما ثبت الإحياء في القبر.

٣- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:١٢٤)، قال ابو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: "ضَنْكًا"، أي: عذاب القبر.

٤- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الطور:٤٧)، قيل: هو عذاب القبر؛ لأنَّ الله تعالى ذكره عقب قوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾(الطور:٤٥)، وهذا سيكون في آخر أيام الدنيا، فدلَّ على أنَّ العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر.

۞ أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه من السُّنة:

وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ثبوت عذاب القبر، وهي وإن كانت أحاديث آحاد في نفسها، إلا إنَّها تبلغ درجة التواتر المعنوي بمجموعها، ومن ذلك:

١- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزانِ مِن عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فَقالَتا لِي: إنَّ أهْلَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ في قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُما، ولَمْ أُنْعِمْ أنْ أُصَدِّقَهُما، فَخَرَجَتا، ودَخَلَ عَلَيَّ النبيُّ ﷺ، فَقُلْتُ له: ((يا رَسولَ اللهِ، إنَّ عَجُوزَيْنِ، وذَكَرْتُ له، فَقالَ: صَدَقَتا، إنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذاباً تَسْمَعُهُ البَهائِمُ كُلُّها فَما رَأَيْتُهُ بَعْدُ في صَلاةٍ إلّا تَعَوَّذَ مِن عَذابِ القَبْرِ)).

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: ((إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ في قَبْرِهِ وتَوَلّى عنْه أصْحابُهُ، وإنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ، أتاهُ مَلَكانِ فيُقْعِدانِهِ، فَيَقُولانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فأمَّا المُؤْمِنُ، فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللهِ ورَسولُهُ، فيُقالُ له: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النّارِ قدْ أبْدَلَكَ اللهُ به مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ، فَيَراهُما جَمِيعاً، ...، وأمّا المُنافِقُ والكافِرُ فيُقالُ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيَقولُ: لا أدْرِي كُنْتُ أقُولُ ما يقولُ النّاسُ، فيُقالُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ويُضْرَبُ بمَطارِقَ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُها مَن يَلِيهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ)).

٣- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: ((مَرَّ النبيُّ ﷺ بقَبْرَيْنِ، فَقالَ: إنَّهُما لَيُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ، أمّا أحَدُهُما فَكانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وأمّا الآخَرُ فَكانَ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ ثُمَّ أخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّها نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ في كُلِّ قَبْرٍ واحِدَةً، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هذا؟ قالَ: لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عنْهما ما لَمْ يَيْبَسا)).

ب- حكم الإيمان بعذاب القبر ونعيمه:

عذاب القبر للكافر والفاسق، والنعيم للمؤمن حق، والإيمان به واجب لثبوته بنصوص القرآن والسنة، وهو قول الجمهور.

وأنكر عذاب القبر: الجهم بن صفوان رأس الجهمية، وفريق من المعتزلة، منهم: ضرار بن عمرو، وبِشْر المَرِيْسِيّ.

ج- تصور عذاب القبر ونعيمه:

قال الجمهور: إننا نؤمن بما ورد في الأخبار ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم ويصرف أبصارنا ويغيبه عنا، فلو كان الميت بيننا فلا يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألانه، ويجيبهما من غير أن يشعر الحاضرون بهما، وليس للعقل الوقوف على كيفية عود الروح إلى الجسد، وكيفية عذاب القبر ونعيمه، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تُحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار به العقول، فأخبار الشرع، منها: ما يشهد العقل والفطرة السليمة به، ومنها: ما لا تدركها العقول، كالغيوب، فكل خبر يُظنُّ أنَّ العقل يُحيله فلا يخلو من أحد أمرين:

١- الخطاء في النقل.

٢- فساد بالعقل فتكون شبهة خيالية.

والعلماء يتفقون على أنَّ الله تعالى يُعيد إلى الميت في القبر نوع حياة قدر ما يتألم ويتلذذ، ويشهد بذلك الكتاب والسنة.